لغز آل كابونى

إعداد
صلاح محمد

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
٥١ش ابراهيم خليل المطرية
ت : ٢٢٥١١١١٠ – موبايل : ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب : لغز آل كابونى
(الاختيار الصعب)
المؤلـــــــــف : صلاح محمد
الناشــــــــــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥
رقم الإيداع : ٨٠١٠
طبعة أولى : ٢٠١٦

فهرسة أثناء النشر

محمد ، صلاح
لغز آل كابونى (الاختيار الصعب) /إعداد صلاح محمد – القاهرة .- ط١
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦
٨٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك : ٧-٨٠-٦١٦٩-٩٧٧-٩٧٨
١- الألغاز
أ- العنوان ٧٩٣,٧٩٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ
إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم

طه ١١٤

مُقَدِّمَة

عزيزى القارئ هذه مجموعة قصص وألغاز تحمل بين طياتها الكثير من الإثارة والتشويق فى محاولة منا لجذب القارئ لقراءة المجموعة القصصية للوصول فى النهاية إلى حل لغز تلك القصص حيث أن مسرح الجريمة يعتبر هو المفتاح الأول لحل لغز أي جريمة ولذلك فهو يسمى بالشاهد الصامت. وهو يعتبر اللبنة الأولى والهامة لبداية التعامل مع الجريمة، فإذا صلحت الإجراءات المتخذة التي يقوم بها فاحص مسرح الجريمة صلح التحقيق في القضية بأكملها والعكس صحيح.

في هذا الكتاب ، ستقرأ عن ألغاز وأسئلة مطلوب من القارئ حلها والوصول إلى الجانى فى كل لغز ، وستطلع على بعض الطوائف السرية والأماكن العجيبة وغير ذلك من المسائل والأحداث الغريبة حول العالم ، والغاية من هذا الكتاب هي التسلية والترفيه والتفكير وإيصال معلومة مفيدة توسع من أفق القارئ الثقافي ، لذلك دأبت على وضع الاسم الأصلي لموضوع القصة ليتمكن من يريد معرفة المزيد عنها من الوصول إلى مصادر إضافية .

ألغاز بعضها سهل وبعضها يحتاج لتفكير طويل، لكنها جميعاً ستنمي ذكاءك، وتمتع عقلك .

شارك الألغاز مع أسرتك وأصدقائك، فهي تصلح للجلسات العائلية اللطيفة الخالية وتمنحك وقتاً رائعاً من التواصل مع الآخرين.

لغز الحياة السابقة

كاهنة فرعونية ولدت في لندن

هل صادف عزيزي القارئ أن مررت يوما بشارع أو دخلت مبنى قديم لم تره في حياتك سابقا، ثم يخامرك فجأة إحساس غامض بأن المكان يبدو مألوفا بالنسبة لك، وكلما دققت النظر في أركانه وزواياه كلما اشتد شعورك بالألفة والانسجام مع تفاصيله بل ربما تراقصت أمامك أشباح وخيالات لذكريات باهتة ومشوشة تمر في عقلك كومضات ضوئية سريعة تحاول عبثا أن تتشبث بها لكنها تبتعد وتتلاشى قبل أن تستطيع اللحاق بها، انه إحساس يخامر اغلب الناس لمرة واحدة في حياتهم على الأقل وغالبا لا يجدون له تفسيرا فيعزوه إلى الخيال والهلوسة البصرية وهو رأي يوافقهم عليه العلماء أيضا، لكن هل هناك تفسير أخر لهذه الحالة ؟.

كاهنة فرعونية ولدت في لندن بجسد امرأة انجليزية!!

كانت زينة احتفالات أعياد الميلاد لا تزال بادية على شوارع ومباني لندن عندما عم الفرح والسرور منزل لويس ايدي وزوجته بولادة طفلتهما دورثي (Dorothy Louise Eady) في كانون الثاني / يناير ١٩٠٤، كانت طفلة جميلة وذكية أحاطها أبواها بكل الحب والحنان، كيف لا وهي طفلتهم الوحيدة التي أتت لتشيع جوا من البهجة والسعادة التي افتقدها الأبوان لفترة طويلة في بيتهما الصغير الواقع في ضواحي لندن، ومثل جميع الأهل فقد شيد الزوجين صروحا من خيال حول مستقبل ابنتهما التي

أرادا لها أن تنشا كفتاة انكليزية مثقفة ومتعلمة وان تكون ناجحة في حياتها، لكن يبدو ان القدر كانت له خطط أخرى حول مستقبل الفتاة تختلف كليا عن أحلام والديها الوردية، ففي سن الثالثة تعرضت دورثي لحادثة مؤلمة سيكون لها تأثيرا كبيرا على حياتها، اذ بينما كانت الفتاة تلعب في منزلها تعثرت فجأة وسقطت من فوق السلم فارتطم رأسها بالأرض بشدة وتمددت على الأرض بدون حراك حتى ان الطبيب الذي احضره والدها على وجه السرعة ظن أنها ميتة، لكن الفتاة فاجأت الجميع وفتحت عينها بعد ساعة من الزمن وسرعان ما استردت عافيتها خلال الأيام التالية حتى ظن أهلها بأن الحادثة لن يكون لها أي تأثير على سلامتها، لكنهم كانوا مخطئين، فقد أخذت الفتاة تشاهد أحلاما غريبة عن مدن ومباني لم ترى لها مثيلا من قبل وأناس يتكلمون لغة لا تفقه منها شيئا، وأخذت هذه الأحلام تداهمها حتى في اليقظة على شكل تخيلات لأماكن ووجوه بدت مألوفة لدورثي الصغيرة لكنها لم تكن تعلم أين ومتى شاهدتها في السابق.

بينما كانت دورثي في الخامسة من عمرها اصطحبها والداها إلى المتحف البريطاني وحين وصلت العائلة خلال جولتها داخل المتحف إلى قسم المصريات وقفت دورثي فجأة مشدوهة تحدق إلى الجداريات والتماثيل والنصب الفرعونية القديمة إذ أنها شبيهة بتلك الأشياء التي كانت تراها في أحلامها، لقد أحست دورثي أنها في بيتها ووسط دهشة الجميع انطلقت تجري كالمجنونة تقبل النصب والتماثيل وتركع للكتابات الهيروغليفية التي تطرز القطع الفرعونية المختلفة ثم جلست أخيرا القرفصاء أمام مومياء احد

الملوك الفراعنة ورفضت أن تتزحزح من مكانها رغم محاولات أهلها الذين أصابهم الهلع وظنوا إن ابنتهم أصيبت بالجنون.

لخرائب معبد سن الثامنة شاهدت دورثي في إحدى الجرائد صورة في أبيدوس (تسمى أيضا العرابة المدفونة وتقع غرب البلينا ستي الأول في الحال تعرفت على المكان إذ كان هو نفس المبنى سوهاج في مصر) وفي أحلامها ولكنها تعجبت لأنه كان خربا وقد اختفى شاهدته في الذي طالما بهائه وجماله القديم وتلاشت الحدائق الغناء التي كانت تحيط به. ثم التفتت الأطفال وهي تشير بيدها إلى صورة دورثي نحو والدها وأخبرته ببراءة .في هذا المعبد الحقيقي وأنها عاشت سابقا المعبد بأن هذا هو بيتها

كان والدا دورثي يعتقدان انه بمرور الزمن ستنسى طفلتهم هذه الأمور الغريبة التي كانت تحدثهم عنها حول حياتها السابقة في المعبد الفرعوني، لكن لسوء حظهم فأن عشق دورثي لمصر الفرعونية وكل ما يتعلق بها كان يزداد يوما بعد آخر وقد تحول إلى هاجس يلازمها ودفعها بعد أن أكملت دراستها العليا إلى التعمق في دراسة علم المصريات، ومن حسن حظها فأن منزلها كان قريبا من المتحف البريطاني لذلك غدت إحدى زواره الدائمين وتعرفت هناك عن طريق الصدفة على السير ارنست واليس الذي كان مختصا في مجال الأشوريات والمصريات والذي بدء بتعليم دورثي على اللغة الهيروغليفية وعرفها على قصص وأساطير المصريين القدماء.

رغم وجودها الدائم قرب آثار الفراعنة في المتحف البريطاني وإتقانها للغة الهيروغليفية إلا إن ذلك لم يعوضها عن تحقيق حلمها الأكبر وهو الذهاب إلى مصر أو "الذهاب إلى الوطن" كما كانت تقول لوالديها، وفي عام ١٩٣٣ لاحت لدورثي فرصة ذهبية لتحقيق حلمها إذ تعرفت على شاب مصري كان يدرس في بريطانيا اسمه "إمام" سرعان ما توطدت العلاقة بينهما وتكللت بالزواج ثم رافقت دورثي زوجها عند عودته إلى مصر. ورغم ان زواجها لم يدم طويلا إذ حصلت على الطلاق بعد مرور عامين فقط على قدومها إلى مصر لكن هذا الزواج كان هو السبب الرئيسي في تحقيق حلمها القديم في العيش في مصر بالقرب من المعابد والإطلال التي زعمت أنها عاشت في كنفها في حياتها السابقة قبل آلاف السنين، كما أن هذا الزواج أثمر عن طفلها الوحيد الذي أصرت على تسميته بـــ "ستي" تيمنا بأسم الفرعون ستي الأول الذي ادعت أنها كانت تعمل في حياتها السابقة ككاهنة في معبده المكرس للإله اوزيريس في أبيدوس، وبعد ولادة طفلها أطلقت دورثي على نفسها تسمية أم ستي (Omm Sety) تماشيا مع عادة المصريين (و الشرقيين عموما) في مناداة المرأة المتزوجة بأسم ابنها البكر مثل أم محمد وأم علي .. الخ، أما عن سبب طلاقها السريع فتقول ام ستي : "كان زوجي عصريا جدا فيما كنت أنا قديمة جدا!".

في مصر حصلت أم ستي على فرصة عمل في منطقة الجيزة واشتغلت لعدة سنوات كمساعدة لأشهر المنقبين عن الآثار الفرعونية وقد أطرى الكثير من هؤلاء على موهبة أم ستي في مجال عملها واشتهرت أيضا في كونها أول امرأة تعمل في مجال التنقيب. لكن رغم تواجدها

وعملها في مصر إلا أنها لم تحصل على فرصة لزيارة خرائب معبد اوزيريس في أبيدوس إلا بعد سنوات طويلة في عام ١٩٥٦ حيث حصلت على وظيفة هناك من الحكومة المصرية. وفي أول زيارة لها للمعبد تراقصت أمامها الخيالات التي رافقتها منذ طفولتها وأصبحت هناك أكثر وضوحا من أي وقت مضى.

خلعت أم ستي نعليها عندما همت بدخول المعبد (من العادات الشرقية الموغلة في القدم هي خلع النعل أو الحذاء قبل الدخول إلى الأماكن المقدسة تعبيرا عن الاحترام) كما كان يفعل المصريين القدماء لدى دخولهم إلى المعابد. وفي الداخل تحولت أحلام أم ستي إلى حقيقة ماثلة أمام عينها فهي لم تشاهد إطلال المعبد وخرائبه كما كانت تراه عيون الآخرين ولكنها رأتها بأبهتها القديمة كما كانت قبل آلاف السنين وكما شاهدتها دوما في أحلامها حيث الأروقة والدهاليز المعبقة برائحة البخور والجدران المزدانة بالنقوش والكتابات الهيروغليفية الزاهية وحيث الكهنة يتجولون بهدوء يرفلون بثيابهم البيضاء والكاهنات ينشدن بصوتهن الحزين الرخيم أعذب الترانيم التي تتحدث عن معاناة الإلهة ايزيس خلال رحلة بحثها الطويلة والمضنية عن جثمان زوجها المغدور الاله أوزيريس الذي قتله أخوه الأصغر الإله الشرير ست. كانت أم ستي تؤمن بأنها في حياتها السابقة كانت فتاة يتيمة وجميلة اسمها بنتريشيت، كانت إحدى كاهنات معبد اوزيريس في أبيدوس وكانت وظيفتها الأساسية هي مشاركة بقية الكاهنات في إحياء الطقوس والشعائر المرتبطة بقصة موت الإله اوزيريس وبعثه من جديد، لكن نهاية حياة بنتريشيت كانت مأساوية حيث ان مؤسس المعبد وهو الفرعون الشاب

ستي الأول شاهدها في احد الأيام في حديقة المعبد فأعجب بها ووقع في حبها وانتهت علاقة الغرام هذه بحملها منه ولهذا فضلت بنتريشيت ان تنتحر بالسم على أن تلطخ سمعة الفرعون الشاب بإقامته علاقة جنسية محرمة مع إحدى كاهنات المعبد.

أمضت أم ستي ما تبقى من حياتها في أبيدوس تعمل مع المنقبين وفي سنواتها الأخيرة أصبحت تعمل كمرشدة للسياح الأجانب. وقد عرفها الكثير من الناس واحترموها بغض النظر عن تصديقهم لقصتها أو لا، واحد هؤلاء الذين عرفوها عن قرب هو زاهي حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار المصرية الذي عمل في أبيدوس في شبابه وقد شدته بساطة هذه المرأة وعلاقتها الروحية مع الآثار الفرعونية حيث كانت تدخل إلى المعبد حافية القدمين ثم تجلس على الأرض العارية وتدخل في حالة تأمل روحية فتبدو كأنها تجسيد حي وحقيقي لكاهنة فرعونية قديمة، كما أعجب حواس بقدرتها الفائقة في قراءة الكتابات الهيروغليفية القديمة واطلاعها الواسع في مجال علم التنقيب وتاريخ مصر الفرعونية عموما. ويقول حواس عن ذكرياته عنها في إحدى المقالات التي نشرها في جريدة الأهرام الأسبوعي :

"في احد الأيام زارتنا ام ستي وتناولت الطعام معنا وحدثتنا عن قصة حياتها. كانت قد ولدت في انكلترا واسمها الحقيقي هو دورثي ولكنها بدئت منذ سن مبكرة بالحديث عن ابنها ستي. لقد اعتقدت بأنها كانت امرأة مصرية قديمة في حياتها السابقة. اعتقد والدها بأنها مجنونة وأرسلها إلى طبيب نفسي. غادرت انكلترا في شبابها وقدمت إلى مصر وعملت في

الجيزة مع سليم حسن، عالم المصريات المشهور. لقد كانت مساعدة بارعة. أجادت تحبير الكتابات الهيروغليفية القديمة كما لو أنها حقا فنانة مصرية قديمة. أحبها وتزوجها رجل مصري اسمه إمام وكان له ولد منها أسمته ستي. وجراح القلب المصري المشهور عادل إمام هو ابن زوجها السابق وهو يشبه رمسيس الثاني ابن ستي الأول".

في عام ١٩٨١ توفت أم ستي عن سبعة وسبعين عاما قضت معظمها في مصر ودفنت بالقرب من أبيدوس حيث تحقق حلمها القديم وتحولت أخيرا إلى اوزيريس .واليوم رغم مرور عدة عقود على وفاتها فأن قصتها مازالت مثارا للجدل، فالمشككين بقصتها يحتجون بأنه لا يوجد أي شيء حقيقي ومادي ملموس يثبت بأن دورثي لويس ايدي عاشت حقا حياة سابقة في مصر القديمة وأن تخيلاتها وأحلامها هي في حقيقتها مجرد هلوسات سببتها الضربة القوية التي تلقتها على رأسها في طفولتها. أما المؤيدين والمؤمنين بصدق قصة أم ستي فيقولون بأنه لم يكن هناك أي شيء يجبر سيدة انكليزية متعلمة على القدوم إلى مصر والعيش في منطقة معزولة نسبيا لما تبقى من حياتها لولا صدق ما أمنت به، إضافة إلى ذلك فأن جميع الذين عملوا معها من منقبين وآثاريين أشادوا ببراعتها الاستثنائية في مجال عملها خصوصا في كتابة وقراءة الهيروغليفية القديمة وتحبير النقوش والرسوم الفرعونية. وربما يكون الدليل الأقوى على صحة قصتها هو بعض الأمور التي لم تكن معروفة والتي أرشدت أم ستي المنقبين للكشف عنها، فقد أصرت مثلا على وجود حديقة كانت ملاصقة للمعبد في العهود القديمة، ورغم أن اغلب المعابد المصرية كانت تحتوي على حدائق،

إلا أن أم ستي أخبرت المنقبين عن منطقة محددة ليحفروا فيها وقد دهش هؤلاء عندما عثروا بالفعل على آثار الحديقة. كما تحدثت أم ستي عن وجود قناة أسفل الجزء الشمالي من المعبد وقد أثبتت التنقيبات صحة ذلك . لكن تبقى أهم معلومة قدمتها أم ستي للمنقبين بدون إثبات إذ إنها أصرت على وجود سرداب أسفل المعبد يحتوي على الكثير من الكتب التاريخية والدينية القديمة لكن المنقبون لم يستطيعوا العثور عليه حتى اليوم.

١ – اوزيريس هو اله حياة ما بعد الموت، اله البعث والحساب ورئيس محكمة الموتى لدى المصريين القدماء ولكي تعلم عزيزي القارئ أسباب تحنيط المصريين لموتاهم والاهتمام الكبير بطريقة دفنهم عليك أولا أن تقرأ أسطورة اوزيريس فهي ليست أسطورة سخيفة وقديمة كما قد يظن من يقرأها بدون تمعن ولكنها خلاصة لحياة المصريين القدماء فهي قصة المحاصيل التي تزرع من جديد وقصة النيل الذي يفيض ويغيض وقصة بزوغ القمر وشروق الشمس والحياة التي تبعث من جديد بعد الموت، انها قصة البدايات الجديدة والخلود الذي يسعى إليه كل البشر فأوزيريس هو ابن الآلهة الذي قام من بين الموتى ليتحول إلى اله ويصبح خالدا وبأتباع خطواته وبتحنيطهم لجثث موتاهم كما فعلت ايزيس مع جثة زوجها المغدور فأن الفراعنة كانوا يتحدون مع اوزيريس ويقومون مثله لينالوا الخلود. الأسطورة باختصار تتحدث عن ابن الآلهة وملك مصر المحبوب اوزيريس الذي في عهده تحولت مصر من البربرية والوحشية إلى المدنية والحضارة وانتصر على أعداءها في كل مكان لذلك أحبه الشعب بشدة، لكن هذا الحب أثار غيرة وحسد أخوه الأصغر الشرير ست لذلك خطط للتخلص منه

والاستيلاء على عرشه ولتنفيذ خطته أقام حفلا كبيرا دعا إليه أخيه اوزيريس، كان الحفل كبيرا وباذخا وقد تعمد ست والمتآمرين معه إلى إظهار قدر كبير من التجليل والمحبة تجاه أوزيريس لكي لا يشك فيما يدبر له خلسة، ثم اخرج ست تابوتا رائعا مرصعا بالأحجار الكريمة أثار إعجاب جميع الحاضرين ثم عرض أن يهبه لكل من يكون التابوت على مقاسه فتسابق الحضور إلى الدخول إليه عسى أن يناسب مقاس احدهم إلا ان التابوت كان مصمما ليناسب مقاس شخص واحد فقط هو اوزيريس الذي ما ان تمدد داخل التابوت حتى قام أخوه ست بإغلاقه بسرعة وبأحكام ثم رماه في النيل.

لم يخبر أحدا ايزيس شقيقة اوزيريس وزوجته في نفس الوقت عن مقتله لكنها أحست بذلك وبدئت رحلة بحث محمومة للعثور على جسده وبعد الكثير من البحث المضني عثرت عليه داخل جذع شجرة فألقت عليه تعويذة علمها إياها والدها اله الأرض جت وتمكنت بواسطتها من فتح التابوت وأعادت الحياة إلى اوزيريس الذي حملت منه بابنهما حورس ثم مات اوزيريس مرة أخرى فأخفت ايزيس جسده في الصحراء.

وفي احد الأيام كان ست الشرير يقوم برحلة صيد فعثر عن طريق الصدفة على جسد اوزيريس الذي كانت ايزيس قد أخفته فغضب بشدة وقام بتقطيعه إلى أربعة عشر قطعة نثرها في أرجاء مصر (في مكان كل عضو أقام الفراعنة معبدا واحدها هو معبد أبيدوس الوارد ذكره في هذه القصة) وحين علمت ايزيس بذلك بدئت برحلة جديدة محمومة لجمع أجزاء جسد زوجها وقد تمكنت من جمعها (باستثناء العضو الذكري الذي التهمته

سمكة) ثم قامت بتحنيط جثمانه وهيئته للدفن (لذلك كان المصريون القدماء يحنطون جثث موتاهم ويبذلون عناية فائقة في تهيئة مستلزمات دفنهم فالغاية هي تهيئتهم لرحلة الخلود كما فعلت ايزيس مع زوجها لذلك كان الفراعنة يصفون الميت بأنه تحول إلى اوزيريس والموت بحد ذاته كان بداية جديدة وليس نهاية).

في هذه الأثناء كان حورس قد كبر واشتد عوده فعزم على الانتقام لأبيه وشن حربا لا هوادة فيها ضد عمه الشرير ست حتى قتله وانتصر عليه وعندها فقط تحررت روح اوزيريس وانتقل إلى العالم الآخر ليصبح ملك الموتى واله الحياة الأخرى ثم قام بنفي روح أخيه الشرير ست إلى الصحراء فأصبح من حينها اله الصحارى والظلام والشر.

لغز موت هتلر

لعقود طويلة ظل ملايين الطلاب الصغار حول العالم يتعلمون خلال حصة درس التاريخ بأن الزعيم النازي أدولف هتلر مات منتحرا في نهاية الحرب العالمية الثانية بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من الوقوع أسيرا بيد قوات الحلفاء، وقد تداول الجميع هذه الرواية ورددوها حتى أصبحت من المسلمات رغم عدم وجود أي شيء يدعم صحتها سوى شهادة بعض الأشخاص المخلصين لهتلر الذين بقوا إلى جانبه حتى أخر لحظة، أما الأدلة المادية فتمثلت في قطعة من جمجمة بشرية تبين بالفحص المختبري عام ٢٠٠٩ بأنها تعود لامرأة!!. يا ترى ما هي حقيقة انتحار هتلر وهل قضى نحبه في دار المستشارية حقا أم انه استطاع الفرار وقضى ما تبقى من حياته في مكان نائي وبعيد وهو يضحك ملئ شدقيه بسبب خدعته المحكمة التي استغفل بها العالم.

فى هذا السياق نتناول الأيام واللحظات الأخيرة في حياة هتلر أما حياته الكاملة فأعتقد أن أحداثها تحتاج إلى مجلدات لتغطية تفاصيلها لما كان لها من اثر كبير في تاريخ العالم الحديث فيكفي أن نعرف إن الحرب العالمية الثانية خلفت ٧٠ مليون قتيل لنعلم حجم هذا التأثير. لكن بالنسبة لمن لا يعلمون شيئا عن هتلر فباختصار هو أدولف ألويس هتلر ولد في النمسا عام ١٨٨٩ وكان أبوه موظفا في الجمارك النمساوية أما أمه فهي كلارا هتلر، وهناك لغط كبير حول نسب والد هتلر فقد سجل في الكنيسة التي تم تعميده فيها على انه طفل غير شرعي وذلك قبل خمسة أعوام من

زواج أمه (جدة هتلر) وهي مزارعة بسيطة اسمها ماريا شكلجروبر من جوهان هيدلر (هتلر)، وهناك عدة أشخاص مرشحين كأجداد لهتلر من ضمنهم احد اليهود الأغنياء الذين عملت جدة هتلر كخادمة في بيته لفترة من الزمن (مصيبة لو كان جد هتلر الحقيقي هو يهودي!) ولغز أصل هتلر ومن هو جده الحقيقي هو موضوع طويل قد يحتاج إلى مقالة بحد ذاته لكن أنصار هتلر ومريديه يقولون بأن جوهان هو جده الحقيقي وأن اللغط حول نسبه مفتعل من قبل أعداءه، وفي النهاية قد لا يعلم سوى الله من هو الرجل الذي أودع نطفته الحقيرة في رحم جدة هتلر .. تلك النطفة التي حصدت ملايين الأرواح!. كانت طفولة هتلر تعيسة فوالده كان قاسيا وغالبا ما كان يضربه مع أمه، ولهتلر شقيقة واحدة اسمها باولا ولديه أخ وأخت غير شقيقين هم أطفال والده من زواجه الأول، مات والده مبكرا فسافر إلى فيينا لاحتراف الرسم وعاش ردحا من حياته كرسام "فاشل" ثم خدم كجندي في الجيش الألماني أثناء الحرب العالمية الأولى جرح خلالها وحصل على وسام الشجاعة مرتين وخلال هذه الفترة تبلورت لديه ألأفكار القومية فانضم بعد الحرب الى حزب العمال الاشتراكي الوطني الألماني (اختصارا الحزب النازي) وكانت هذه هي الخطوة الأولى التي أدخلته إلى عالم السياسة ثم حملته الظروف والصدف ليصبح الرجل الأول في ألمانيا (للمزيد يمكنك مراجعة كتاب كفاحي الذي كتبه هتلر عن حياته).

هل انتحر حقا ام خدع الجميع وفر الى مكان مجهول ؟

بداية النهاية

ربما لم يخطر على بال أدولف هتلر (**Adolf Hitler**) عندما انتقل للسكن في دار المستشارية مطلع عام ١٩٤٥ بأنه سيحاصر داخل قبو المبنى الضخم الذي طالما كان منبرا لخطبه النارية التي ألهبت حماس الملايين من الألمان كما انه لم يتخيل بالطبع، حتى في أسوء كوابيسه، بأنه سيأتي يوم لن يتمكن فيه من التجول حتى في الشوارع القريبة المحيطة بالمبنى القابع وسط برلين، فبعد أن كان خياله الجامح قد صور له لسنوات طويلة بأن فيالقه العسكرية ستحمله إلى ابعد نقاط الأرض ها هو اليوم محاصر من كل جهة وسط ركام العاصمة التي أراد لها أن تكون سيدة العالم المطلقة، لقد بدا واضحا بأن نهاية النازية وسقوط برلين[١] ما هي إلا مسألة وقت وإن إمبراطورية الرايخ الثالث الخالدة التي زعم هتلر بأنها ستدوم لألف عام بدئت تنهار بسرعة قياسية تحت وقع الضربات القوية للحلفاء الذين أخذت جيوشهم تزحف بسرعة من الغرب والشرق لتطبق كفكي كماشة على العاصمة المنكوبة، لقد أصبح الانتصار محسوما للحلفاء

---

[١] في الحقيقة برلين لم تسقط بسهولة إذ إن الألمان قاتلوا بشراسة للدفاع عن عاصمتهم وفي بعض أجزاء المدينة كانت وحدات النخبة النازية تقاتل من بيت إلى بيت وكانت هناك مقاومة عنيفة من قبل الآلاف من قوات الجيش والشرطة والمتطوعين من شبيبة هتلر (أطفال ومراهقين) وبلغت خسائر السوفييت أثناء معركة برلين قرابة النصف مليون بين قتيل ومفقود وجريح وقد انتقم الجنود الروس (ربما بسبب الجرائم التي اقترفها النازيين في روسيا) بعد انتهاء المعركة إذ تعرضت المدينة للنهب والغارة واغتصبت قرابة المائة ألف امرأة ألمانية وعانى السكان من الجوع والمرض.

واخذوا يخططون لمرحلة ما بعد الحرب وكيفية تقاسم الكعكة الألمانية. ويبدو ان هتلر أدرك في النهاية حتمية الهزيمة لكنه كان لازال يأمل بحدوث معجزة ما تقلب موازين القوى وتجعل الفيالق السوفيتية بقيادة جوكوف تنتحر عند بوابات برلين! وكان لايزال يعطي أوامره إلى قادة جيشه لتحريك القوات من دون أن يدرك بأن معظم هذه الجيوش التي كان يحركها على الورق لم يعد لأغلبها وجود على ارض الواقع إذ إن معظمها أفنيت عن بكرة أبيها أو فر جنودها باتجاه الغرب خوفا من أن يقعوا أسرى بيد القوات الروسية الزاحفة من جهة الشرق.

بعد ان فشلت خططه في صد الجيوش السوفيتية خارج برلين عقد هتلر في ٢٢ نيسان / ابريل اجتماعا عسكريا مع هيئة أركان حربه استمر لمدة ثلاث ساعات وقد ظهر خلالها في حالة مريعة من الغضب واليأس والقنوط واقر صراحة خلال الاجتماع باحتمال أن تخسر ألمانيا الحرب لكنه رفض بشكل قاطع أي شكل من إشكال الاستسلام واعتبر الإقدام على التفاوض مع العدو بمثابة الخيانة عظمى كما رفض بشدة نصيحة بعض الضباط بترك دار المستشارية والفرار إلى منطقة جبال الألب في بافاريا لإدارة القتال والمقاومة من هناك، لقد بدا هتلر مصمما على البقاء في برلين من اجل القتال حتى النهاية كما انه عبر بجلاء عن رغبته في الانتحار ووضع حد لحياته واستشار لاحقا طبيبه فارنر هاسه حول أفضل الطرق لتنفيذ ذلك فأقترح عليه تناول سم السيانيد ثم إطلاق رصاصة على الرأس.

الرواية الرسمية للأيام الاخيرة في حياة هتلر

في اليوم التالي أعطى هتلر الأذن لجميع الموجودين في دار المستشارية بالمغادرة إذا رغبوا في ذلك وقد غادر معظمهم بالفعل ولم يبق مع هتلر سوى مجموعة من الأشخاص المقربين مثل عشيقته ايفا براون (Eva Braun) ووزير إعلامه جوزيف غوبلز مع زوجته وأطفاله الستة ومن العسكريين بقي عدد من كبار الضباط مثل مارتن بورمن وكذلك عدد من أفراد حماية هتلر ومرافقيه الشخصيين وبعض ضباط وجنود وحدات النخبة النازية (SS) إضافة إلى بعض الموظفين المدنيين مثل السكرتيرات والطباخ.

في يوم ٢٦ ابريل وصل مدى نيران المدفعية الروسية إلى قلب برلين وتعرض مبنى دار المستشارية للقصف للمرة الأولى.

في يوم ٢٨ ابريل جن جنون هتلر عندما علم عن طرق غوبلز بأن هاينريش هيملر يفاوض الانكليز سرا من اجل الاستسلام، لقد كان هيملر رفيق نضال هتلر منذ السنوات الأولى لتأسيس الحزب النازي وكان لسنوات طويلة ذراع هتلر الضارب الذي طالما استعمله لقمع أعدائه وخصومه بدون رحمة فهو رئيس وحدات النخبة وتخضع لسلطته جميع المؤسسات الأمنية النازية. لقد اتفق جميع المتواجدين في قبو دار المستشارية على ان هتلر أصيب بحالة من الغضب لم يسبق لهم أن شاهدوا لها مثيلا عليه في السابق إذ اخذ يصرخ بصورة هستيرية مطالبا بإنزال اشد العقاب بهيملر، وكنوع من الانتقام الارتجالي أمر حرسه الشخصي بأن يقبضوا على احد

الضباط الذي كان ممثلا لهيملر في المبنى وأمر بأن يعدم فورا فأخذوه إلى الأعلى وأعدموه رميا بالرصاص في الحديقة الخلفية لدار المستشارية.

بعد خيانة هيملر بدء هتلر يصاب بحالة من جنون الارتياب، كما انه بدء يفكر جديا في الانتحار لكي لا يلاقي نفس مصير حليفه بينتو موسوليني في ايطاليا حيث اعدم وتم التمثيل بجثته التي سحلت وعلقت رأسا على عقب في إحدى ساحات ميلانو. كان لدى هتلر عدة كبسولات من سم السيانيد (٣) القاتل التي حصل عليها عن طريق بعض ضباط وحدات النخبة النازية ولكن لأن أفراد هذه الوحدات كانوا تحت إمرة هيملر فقد بدء الشك يخامر هتلر في أن تكون الكبسولات التي بحوزته مزيفة لذلك أمر بتجربتها على كلبته المدللة بلوندي وقد ماتت الكلبة المسكينة في الحال ما أن تم وضع إحدى الكبسولات في فمها.

عند منتصف ليلة ٢٨ ابريل ١٩٤٥ تزوج هتلر من عشيقته ايفا براون في قبو دار المستشارية، ورغم ان الكثير من الكتب دارت حول حياة هتلر الجنسية وعلاقاته بالنساء واتهامه من قبل البعض بالشذوذ الجنسي إلا انه لا يوجد أي دليل يثبت انه كان شاذا فالرجل ارتبط بعدة علاقات مع النساء قد تكون أشهرها هي علاقته مع ايفا براون وهي الوحيدة التي تزوجها (لمدة ٤٠ ساعة!)، أما أشهر علاقاته التي دار حولها اللغط والإشاعات فهي مع ابنة أخته "غير الشقيقة" جلي رابول ورغم انه لا يوجد أي دليل يؤكد إن العلاقة بين الاثنين كانت جنسية إلا ان هتلر كان يبدي شغفا غير طبيعي بجلي وقد عثر عليها ميتة اثر إصابتها بعيار ناري في بيت هتلر وقيل حينها أنها انتحرت إلا ان المؤرخين يعتقدون انها قتلت

ويتهم بعضهم هتلر أو احد معاونيه بقتلها لأنها أرادت ترك هتلر والسفر إلى فيينا، وجميع المؤرخين يتفقون على ان موت جلي كان بمثابة تحول جوهري كبير في حياة هتلر إذ ان شيئا ما مات داخله منذ ذلك الحين واستل معه أي شعور إنساني كان يحمله ويقال ان هتلر كان يحتفظ بصورة لجلي في جميع غرف نومه وانه كان يتأملها بحزن قبل أن يخلد إلى النوم كما كان يحظر على الأشخاص المحيطين به ذكر اسمها لما يسببه ذلك من أذى نفسي له

كانت ايفا ترتدي ثوبا من الحرير الأسود أما هتلر فقد كان مرتديا بدلته العسكرية، وقد قام احد الضباط بإتمام مراسم الزواج المدني حيث سأل العروسين إذا كان كلاهما من العرق الآري النقي ولا يحملان أي عيوب وراثية! وعندما ردا بالإيجاب أعلنهما زوجا وزوجة أما شهود الزواج فقد كانا كل من غوبلز وبورمن، ويقال أن ايفا أخبرت الحضور تلك الليلة بأنها حامل بطفل هتلر إلا أنه لا يوجد أي دليل يدعم صحة ذلك الادعاء، وبعد حفلة صغيرة ومختصرة شاركت فيها الحلقة المقربة من هتلر توجه الجميع إلى غرفة الجلوس وتناولوا إفطارا مختصرا مع الشمبانيا وبعدها غادر هتلر مع سكرتيرته ترادول يونغه إلى مكتبه ليملي عليها وصيته الأخيرة التي تضمنت قسمين أحداهما وصية شخصية ابتدئها بمدح إخلاص ايفا براون، رغم انه لم يذكرها بالاسم.

وقال إن زواجهما كان ليتم منذ مدة طويلة لولا انه حرم نفسه من جميع المتع الشخصية وضحى بها من اجل خدمة الشعب الألماني كما ذكر أنهما قررا الانتحار وأوصى بتسليم لوحاته الفنية إلى مدينة لينتز التي

قضى ردحا من حياته فيها كما أوصى بأي شيء ذي قيمة يملكه بأن يوزع بين أقاربه وسكرتيرته وجعل مارتن نورمن مسئولا على تنفيذ وصيته، أما الوصية السياسية فقام فيها بطرد كل من هيرمان غورنغ وهاينريش هيملر من الحزب وعين كابينة جديدة للحكومة كما تضمنت الوصية نفس مبادئه وشعاراته التي رددها طوال السنوات السابقة وتنصل فيها من المسؤولية عن نشوب الحرب وهاجم اليهود مجددا واعتبرهم السبب في كل مصائب العالم. وبعد أن وقع الوصية وشهد عليها كل من غوبلز ومارتن وفون بيلوف توجه هتلر إلى غرفة نومه مع ايفا، ويبدو إن الليلة الأخيرة في حياة الفوهرر لم تكن مريحة إذ انه لم يستطع النوم حتى الصباح.

في ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي اجتمع هتلر مع هيلموت فيدلنغ قائد عمليات الدفاع عن مدينة برلين والذي اخبره بأن قوات الجيش الأحمر السوفيتية لا تبعد سوى مسافة ٥٠٠ متر عن دار المستشارية وأن المدينة ستسقط على الأرجح قبل حلول الظلام ثم طلب منه الإذن بوقف القتال وعلى عكس من المرة السابقة التي رد بها هتلر على طلب مماثل لفيدلنغ بعصبية وخشونة فأنه هذه المرة اكتفى بالصمت ثم أنهى الاجتماع، ويبدو إن هتلر كان عازما على الانتحار قبل حلول مساء ذلك اليوم لذلك أرسل عند الساعة الواحدة أوامره لفيدلنغ يأذن له بموجبها بوقف القتال في تلك الليلة، ثم تناول وجبة الغداء عند الواحدة ظهرا مع سكرتيراته والطباخ وكان الطعام يتكون من القليل من المعكرونة مع الصلصة، وبعد أن انهوا تناول طعامهم قام كل من هتلر وايفا بتوديع العسكريين والموظفين

الموجودين في قبو دار المستشارية ثم انسحبوا إلى مكتب هتلر الخاص وأغلقوا الباب دونهم وكان ذلك عند الساعة الثانية والنصف ظهرا.

عند الساعة الثالثة والنصف من يوم ٣٠ نيسان / ابريل سمع بعض الموجودين في قبو دار المستشارية صوت إطلاق نار قادم من داخل مكتب هتلر، مع إن اوتو غانيش معاون هتلر الشخصي الواقف عند باب المكتب لم يسمع شيئا؟!!، وبعد أن انتظروا لعدة دقائق قام كل من مارتن بورمن ورئيس التشريفات هاينز لينغه بفتح باب المكتب الصغير وعلى الفور شما رائحة تشبه رائحة اللوز المحروق تعبق هواء الغرفة وهي رائحة غاز السيانيد. ثم دخل اوتو غانيش إلى الغرفة وشاهد جثة هتلر مستلقية على أريكة صغيرة وهي منحنية إلى الأمام والدم يتدفق منها بغزارة وعند أقدام هتلر كان يقبع مسدسه الشخصي ملقيا على الأرض، ورغم ان جميع المتواجدين في غرفة هتلر آنذاك اتفقوا على انه مات منتحرا إلا ان أقوالهم تناقضت حول الطريقة التي انتحر بها، البعض قال بأنه قضم كبسولة السيانيد ثم وضع المسدس في فمه وأطلق النار إلى الأعلى مما أدى إلى تطاير جزء من مقدمة جمجمته، فيما قال آخرون بأنه أطلق النار على جبهته بعد أن ابتلع السيانيد وأن الطلقة اخترقت عنقه. وإلى اليسار من جثة هتلر على نفس الأريكة استلقت جثة ايفا بروان لكن جسمها كان منحنيا بعيدا عن هتلر ولم يكن هناك أي اثر لجروح أو دماء على جثتها وبدا جليا بأنها انتحرت بواسطة قضم كبسولة السيانيد فقط، والمفارقة أنها انتحرت بعد اقل من أربعين ساعة على زواجها وكانت في سن الثالثة

والثلاثين عندما فارقت الحياة اما هتلر فكان عمره عند موته ٥٦ عاما وعشرة أيام.

كان هتلر كان قد اوصى بحرق جثته لكي لا يمثل بها إذا وقعت بيد الروس وأوكل هذه المهمة إلى معاونه الشخصي اوتو غانيش الذي قام بمساعدة هاينز لينغه وارتر اكسمن بلف الجثة بسجادة رمادية اللون ثم حملوهما إلى الأعلى عبر ممر الطوارئ إلى الحديقة الخلفية الصغيرة لدار المستشارية وقاموا بوضعها داخل إحدى الحفر التي سببتها قذيفة سوفيتية ثم عادوا وجلبوا جثة ايفا وممدوها إلى جانب جثة هتلر وقاموا بسكب حوالي مئة لتر من الغازولين على الجثتين ثم أضرموا النار فيهما ووقفوا لبرهة لمشاهدة المنظر بعد ان رفعوا أيديهم لإلقاء التحية الأخيرة على الفوهرر، وقد شهد عملية الحرق كل من غوبلز وبورمن وغانيش ولينغه إضافة إلى ضابطين وبعض الحرس، وسرعان ما عاد الجميع الى داخل المبنى بسبب شدة القصف الروسي لكن حارس بوابة الممر المؤدي الى الحديقة قال فيما بعد انه استمر بمراقبة الجثث وهي تحترق حتى تفحمت تماما وإن القذائف الروسية أنجزت بقية المهمة إذ مزقت بقايا الجثث وبعثرتها بحيث لم يبق لها أي اثر.

بعد انتحار هتلر وحرق جثته بدء جميع من في دار المستشارية بالتسلل من المبنى من اجل الفرار من قبضة الروس باستثناء غوبلز الذي انتحر مع زوجته وأطفاله في اليوم التالي لانتحار هتلر، وفي ٢ أيار / مايو، أي بعد يومين على انتحار هتلر، دخلت وحدة خاصة من استخبارات الجيش الروسي إلى دار المستشارية كانت مهمتها الرئيسية هي معرفة

مصير هتلر فرغم أن السوفيت كانوا يعلمون بأنه انتحر لكن ستالين في موسكو كان يريد دليلا حيا يثبت إن عدوه اللدود قد أصبح حقا في عداد الموتى. في البدء عثر أفراد الوحدة السوفيتية على جثث أطفال غوبلز الستة الذين قتلتهم أمهم عن طريق حقنتهم بالسيانيد ثم عثروا على جثتي غوبلز وزوجته ماغدا محروقتين جزئيا في حديقة مبنى المستشارية. وفي نفس اليوم شاهد احد الجنود الروس عن طريق الصدفة بقايا سجادة محروقة في إحدى الحفر التي خلفتها القذائف المنهمرة على الحديقة الخلفية لدار المستشارية وتحت السجادة عثر الروس على بقايا جثة هتلر وايفا براون إضافة إلى رفات محروقة لجثتي كلبيهما وزعم الروس بأنهم استطاعوا التعرف عن جثة هتلر عن طريق عظام فكيه وأسنانه التي أكد أطباء أسنان هتلر بأنها تعود له.

قام السوفيت بنقل جثة هتلر بسرية تامة من اجل فحصها وتشريحها ثم رفعوا تقريرا مفصلا لستالين يؤكد ان الجثة المكتشفة في الحديقة الخلفية لدار المستشارية تعود لهتلر، وخلال تنقل الوحدات السوفيتية داخل الأرض الألمانية قاموا بدفن ونبش جثث هتلر وايفا عدة مرات ثم أخيرا استقر بها المطاف في قبر مجهول بالقرب من احد المقرات الأمنية السوفيتية في ألمانيا الشرقية السابقة، لكن في عام ١٩٧٠ كان على السوفيت تسليم المبنى للسلطات الألمانية بموجب اتفاقية ثنائية وقد خشي المسئولين السوفيت من ان يتم العثور على بقايا جثة هتلر فتتحول الى رمز ومزار للنازيين الجدد والقوميين الألمان، لذلك قامت وحدة خاصة من المخابرات السوفيتية (KGB) بنبش قبر هتلر وإخراج ما تبقى من رفاته

ثم احرقوها ونثروا رمادها بواسطة المروحية فوق جبال الألب الألمانية، ويبدو ان السوفيت استثنوا من الحرق قطعة صغيرة من جمجمة هتلر فيها ثقب يعتقد انه ناتج عن الرصاصة التي انتحر بها وكذلك احتفظوا بجزء صغير من طقم الأسنان الكاذبة في فكه إضافة إلى الأريكة التي يعتقد أن هتلر انتحر وهو جالس عليها وكانت آثار الدم لازالت تغطيها.

أين اللغز في كل هذا؟

رغم كل ما ذكرناه أعلاه لكن في الحقيقة لا احد يعلم ماذا جرى بالضبط داخل قبو دار المستشارية خلال الأيام والساعات الأخيرة التي سبقت انتحار هتلر وحرق جثته، فكل المعلومات حول تلك الأحداث جاءت عن طريق الأشخاص المقربين من هتلر الذين رافقوه حتى أخر لحظة واستطاعوا النجاة من الموت خلال معركة برلين، كما أن لا احد سوى الله وحده يعلم ماذا جرى داخل الغرفة التي انتحر فيها هتلر مع ايفا، هل كانت الجثة المكتشفة داخل الغرفة تعود لهتلر حقا ؟ لا تنس عزيزي القارئ ان هتلر وايفا قبعا لوحدهما داخل الغرفة لقرابة الساعة قبل أن يدخل غانيش ويشاهد جثثهم ولا احد يعلم بالضبط ماذا فعلا خلال تلك الساعة الأخيرة. غانيش ولينغه واكسمن قالوا ان الجثة التي كانت في الغرفة كانت تعود لهتلر لكن يجب ان لا ننسى ان هؤلاء الأشخاص كانوا من اقرب المقربين للفوهرر وأكثرهم إخلاصا ولا يوجد ما يمنع أن يكونوا قد كذبوا بهذا الشأن أو أن يكونوا جزءا من مؤامرة دبرت بعناية عن طريق قتل شخص شبيه بهتلر فمخابرات الحلفاء كانت على علم تام بأن هتلر كان يملك ستة أشباه.

ثم تم إيهام الجميع بأن الجثة تعود لهتلر خاصة وان وجهها كان مشوها جزئيا ومغطى بالدم، ومما يدعم هذا الرأي هو التناقض الواضح في أقوال هؤلاء الأشخاص فبعضهم سمع صوت الرصاصة التي انتحر بها هتلر فيما لم يسمع الآخرون ذلك وبعضهم قال أن هتلر أطلق النار داخل فمه في حين قال الآخرون انه أطلق النار على جبهته وبعضهم قال ان هتلر وايفا كانا جالسين على أريكة واحدة فيما قال البعض الأخر إن هتلر كان يجلس على كرسي منفصل. أما الأكثر طرافة فهو زعمهم بأن هتلر وايفا انتحرا عن طريق قضم كبسولات السيانيد أولا ثم قام هتلر بإطلاق النار على رأسه! وهذا الأمر مستحيل فتأثير سم السيانيد فوري وعند تناوله أو استنشاقه سرعان ما يدخل الإنسان في غيبوبة قد تؤدي إلى الموت خلال لحظات ومن المحال أن يستطيع شخص تناول سم السيانيد من أن يرفع مسدسا إلى رأسه ويطلق النار على نفسه!.

ويبدو ان سم السيانيد كان وسيلة الانتحار المفضلة لدى النازيين فمعظمهم كانوا يحملون كبسولات صغيرة تحتوي على هذا السم استعملوها لاحقا لقتل أنفسهم فمثلا هيملر انتحر بالسيانيد بعد ان قبض الانكليز عليه فباغتهم وابتلع كبسولة السم ومات في الحال أما غورنغ فقد حكم عليه بالإعدام في محاكمات النازيين في كوتنبرغ إلا ان حراس زنزانته وجدوه ميتا في فراشه وتبين انه انتحر عن طريق ابتلاع كبسولة سيانيد لا يعلم على وجه الدقة كيف وصلت إليه رغم الحراسة المشددة، أما مارتن بورمن الذي كان أخر من غادر دار المستشارية بعد انتحار هتلر فلا يعلم مصيره على وجه التحديد ولكن الرواية الرسمية تقول بأنه انتحر هو واحد الضباط

بعد ان حوصروا من قبل قوات الجيش الأحمر. ومن المنتحرين بالسيانيد أيضا هو جوزيف غوبلز حيث قام هو وزوجته ماغدا بقتل اطفالهم الستة أولا عن طريق السم ثم انتحرا بعد ذلك وذلك بعد يوم واحد فقط من انتحار هتلر. ولمعلوماتك عزيزي القارئ فأن السيانيد (Cyanide) سم قاتل يجعل خلايا الكائن الحي غير قادرة على استخدام الأوكسجين وكمية صغيرة منه (١,٥ ملغم لكل ١ كيلو غرام) كافية لقتل أي كائن حي خلال دقائق قليلة وأول الأعراض تكون في العادة صعوبة في التنفس تتبعها غيبوبة ثم سرعان ما يموت الإنسان مختنقا. وبسبب طبيعة السيانيد القاتلة فقد استعمله النازيين في قتل ملايين البشر في عنابر الغاز وكذلك تمتلك الدول العظمى اليوم صواريخ كيميائية مجهزة بغاز السيانيد وهناك أيضا بعض الجماعات الإرهابية التي حاولت استعماله لتنفيذ هجماتها القاتلة مثل طائفة أوم في اليابان (في الصورة المرفقة يظهر غوبلز مع زوجته واطفاله واسفلها صورة غورنغ بعد انتحاره في زنزانته وتحتها صورة هيملر بعد انتحاره وجميعهم انتحروا بالسيانيد).

أما بالنسبة لحرق الجثة فقد قال الحرس في الحديقة بأنهم شاهدوا جثة هتلر وهي تحترق لكن هل كانت جثة هتلر هي التي تحترق أم جثة شخص أخر ؟ لا ننسى أنها كانت ملفوفة جزئيا ببساط. أما بالنسبة إلى جثة ايفا فإذا صدقنا بأنه ليس هناك خدعة وإن الشهود كانوا صادقين في روايتهم حول انتحار هتلر وايفا فما الذي يمنع من أن يكون هتلر قد أوهم ايفا بأنه تناول كبسولة السم مما دفعها إلى أن تحذوا حذوه ثم قام هو وأعوانه بتدبير مسرحية محكمة انطلت على الجميع، بل ان هناك من يذهب

ابعد من ذلك ويزعم ان جثث هتلر وايفا التي أخرجت من الغرفة كانت مجرد دمى مصنوعة بدقة في حين ان هتلر وايفا الحقيقيين فرا خلسة من المبنى بطريقة أو بأخرى، لا تنس عزيزي القارئ أن الألمان كانوا امة متطورة بل إنهم سبقوا الكثير من أمم العالم آنذاك في مجال العلم والتكنولوجيا وإن معظم الاكتشافات العظيمة التي حققتها الدول الكبرى بعد الحرب كانت بمساعدة العلماء الألمان الذين تم أسرهم ونقلوا سرا إلى مختبرات سرية أمريكية وسوفيتية للاستفادة من خبراتهم (ساهموا في اختراع وتطوير القنابل الذكية، القنبلة النووية، الطائرة النفاثة، علم الوراثة

ثم نأتي إلى مزاعم السوفيت، ففي بداية سقوط برلين زعموا بأن هتلر حي وأنهم القوا القبض عليه ثم بعد ذلك عادوا وقالوا انه هارب وأخيرا زعموا أنهم وجدوا جثته في حديقة دار المستشارية وقصة العثور على الجثة هي نكتة بحد ذاتها إذ إن وحدة الاستخبارات السوفيتية العتيدة المكلفة بمعرفة مصير هتلر لم تستطع العثور على جثته رغم أنها فتشت دار المستشارية شبرا شبرا ولكن احد الجنود السوفيت شاهد عن طريق الصدفة بقايا سجادة محروقة في احد الحفر لذلك احضر معولا وبدء بالحفر طمعا في العثور على كنز!! ولكنه بدل أن يعثر على الذهب عثر على بقايا كلب محروق ثم حفر أكثر وعثر على جثة كلب أخر! ويبدو أن الجندي المعتوه لم يكتف بالعثور على كلبين محروقين فاستمر بالحفر ليعثر أخيرا على جثث هتلر وايفا واستطاع التعرف عليها رغم أن حراس هتلر قالوا ان جثته قد تحولت بعد حرقها إلى قطعة فحم وإن القذائف الروسية المنهمرة على مبنى دار المستشارية بعثرتها ومزقتها كل ممزق حتى لم يبقى لها

اثر، فكيف تمكن إذن الجندي السوفيتي العبقري من التعرف إلى الجثة ؟ ولماذا هذه الجثة المزعومة لم تصور باستثناء صورة واحدة يتيمة هي بحد ذاتها فضيحة ودليل على كذب الروس .

فبعد خمسين سنة على موته المزعوم خرج علينا الروس بصورة وحيدة ملتقطة ضمن فيلم قصير وقد اجمع كل من رآها بأنها لا تعود لهتلر وأنها على الأرجح تعود لشبيهه أو أنها مفبركة، ثم على افتراض إن الصورة حقيقية وليست من اختراعات المخابرات السوفيتية فمن التقط هذه الصورة ؟ إذ إن جميع من كانوا في قبو دار المستشارية لم يذكروا شيئا عن التقاط صورة لهتلر بعد انتحاره فهل كان ملتقط الصورة هو جندي روسي ومتى التقطها ؟ هل لبس طاقية الإخفاء وتسلل إلى الغرفة التي انتحر بها هتلر والتقط الصورة بدون أن يراه احد من حرس هتلر أم انه التقط الصورة بعد إحراق الجثث وتفحمها؟!! ثم لماذا لم يحتفظ السوفيت بأي شيء من جثة هتلر؟ فكل أدلتهم على موته تنحصر بقطعة من أسنانه الكاذبة وقطعة أخرى من جمجمته وقد أصبح هذان الدليلان اللذان كشف عنهما الروس بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ الإثبات الوحيد على موت هتلر.

لكن في عام ٢٠٠٩ جاءت المفاجأة الكبرى والضربة القاصمة التي هدمت أكاذيب السوفيت من الأساس، فبعد اخذ ورد طويل حصل بعض الباحثين الأمريكان على موافقة السلطات الروسية في الحصول على عينة صغيرة من قطعة الجمجمة المزعومة لهتلر وبعد إجراء الفحوص الدقيقة واختبار الحمض النووي بأحدث التقنيات الموجودة في العالم تبين ان قطعة

الجمجمة التي شكلت لعقود الدليل الرئيسي على موت هتلر هي في الحقيقة تعود إلى جمجمة أنثى يتراوح عمرها بين ٢٠ – ٤٠ عام !!.

أنها فضيحة تاريخية بكل المقاييس والمعايير فهي تعيدنا إلى نقطة الصفر وإلى السؤال الذي طرحه ستالين على ضباطه قبل سبعين عاما : هل حقا انتحر هتلر؟ فعلى الرغم من ان الاطباء الروس قدموا له تقريرا مفصلا آنذاك حول تشريح جثة هتلر المزعومة إلا ان الرجل لم يقتنع أبدا بأن الجثة حقيقية، وقد يقول البعض ان قطعة الجمجمة ربما تعود لأيفا براون التي كان عمرها عندما انتحرت ٣٣ عاما ولكن جميع الأشخاص الذين تواجدوا داخل دار المستشارية أثناء انتحار هتلر لم يذكروا ان ايفا كانت مصابة بطلق ناري في رأسها لا عندما عثر على جثتها داخل مكتب هتلر ولا عندما أحرقت هذه الجثة في حديقة دار المستشارية.

قد لا يكون مصير هتلر مهما اليوم فهو الآن ميت بكل الأحوال لأنه لو كان حيا فعمره الآن يتجاوز المائة والعشرون عاما، لكن المفارقة انه نجا من المحاكمة على جرائمه ولم يستطع أي شخص إذلاله والقبض عليه إذ في جميع الأحوال، سواء كان انتحر أو تمكن من الفرار، فهو لم يحاكم ولا وقف وجها لوجه أمام ضحاياه ولا وصلت أيدي أعداءه إليه، بل إن جل ما استطاع الحلفاء فعله هو تلفيق مجموعة كبيرة من الأكاذيب أما الحقيقة الواضحة كالشمس في رابعة النهار فهي ان أحدا لا يعلم على وجه الدقة ماذا حدث لهتلر، ربما يكون انتحر حقا لكن كل المزاعم حول العثور على جثته هي محض كذب، وهناك من يزعم انه فر إلى أمريكا الجنوبية وعاش سعيدا لما تبقى من عمره بل إن هناك العديد من الأشخاص خلال العقود

المنصرمة ممن ادعوا أنهم شاهدوا هتلر في أماكن مختلفة من العالم وهذا موضوع آخر قد يطول الخوض فيه.

الخلاصة عزيزي القارئ هي ان هناك الكثير من الأشخاص حول العالم يعتقدون إن هتلر كان شخصا مجنونا حملته الفرص والصدف وظروف ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى إلى أن يتسلق سلم السلطة لاعبا على أوتار القومية الألمانية وعلى الجرح النازف الذي خلفته معاهدة فرساي في كرامة الوجدان الألماني، لكن الحق يقال، وبغض النظر عن كون الرجل معتوها أو مجنونا، فأنه دوخ العالم في حياته وفي مماته.

لغز ساتي

عادة هندية ترسل الأرامل إلى المحرقة مع جثث أزواجهن

التضحية بالنساء عند موت أزواجهن أو أسيادهن هي عادة قديمة مارستها معظم شعوب الأرض في فترة ما من تاريخها، وارتبطت هذه العادة المخيفة بالجوانب الروحية المتعلقة بمعتقدات ما بعد الموت حيث ان النساء كن غالبا ما يرسلن إلى حتفهن لمرافقة أزواجهن أثناء الرحلة إلى عالم الأبدية، ربما من اجل إمتاع الزوج وتسليته خلال الرحلة إذ ان الرجال سريعو الضجر!. في حين إذا ماتت الزوجة أولا فليس من واجب الزوج طبعا مرافقتها إلى العالم الآخر لا بل إن معظم الأزواج سيجدونها فرصة ذهبية للزواج من امرأة أخرى .. وإذا احتجت المرأة وطالبت بالمساواة فسيخبرها "رجال" الدين بأنها إرادة الآلهة وعليها التسليم والقبول بها!.

يتم تقييد الارملة وتجبر على الاحتراق مع جنازة زوجها

اغلب الحضارات القديمة مارست التضحية البشرية، ومنذ البداية ارتبطت هذه الأضاحي بالطقوس الدينية ومعتقدات ما بعد الموت. ففي مدينة أور السومرية وهى إحدى أقدم المدن السومرية وأقدسها، تقع في جنوب العراق وبلغت أوج عظمتها في الألف الثالث قبل الميلاد ويعتقد على نحو واسع أنها كانت موطن نبي الله إبراهيم (ع) الذي تنسب إليه الأديان

السماوية الثلاثة ومن هنا جاءت أهميتها وشهرتها في الغرب، وهناك بعض المنقبين مثل الانكليزي ليونارد وولي، المؤمن بحرفية نصوص التوراة، نبشوا أور نبشا بحثا عن أي دليل ذي صلة بإبراهيم الخليل ولكنهم خرجوا منها خالين الوفاض مثلما نبش المنقبين قبلها الآثار الفرعونية بحثا عن أي دليل عن النبي موسى (ع) والنبي يوسف (ع) ولكنهم لم يجدوا شيئا ومع هذا يخرج علينا بين الحين والآخر بعض الحالمين ليقولوا بأن بني إسرائيل هم من شيدوا الأهرام للفراعنة !.

مثلا تم اكتشاف عشرات الهياكل العظمية البشرية في المدافن الملكية لرجال ونساء يرتدون كامل ملابسهم الرسمية وقد وضعت إلى جانب بعضهم قيثارات وآلات موسيقية مما يدل على أن هؤلاء كانوا مغنيين وموسيقيين فيما كان الآخرون من سائسي الخيول والحرس والجواري، وقد تم قتل الجميع بالسم ثم حملت جثثهم إلى داخل القبر حيث رصت حول الغرفة المخصصة لدفن الملك والتي تقع في مركز المدفن. وهناك أيضا إشارات على ممارسة التضحية البشرية في الحضارة الفرعونية خلال حكم السلالة الأولى لكن يعتقد على نحو واسع أن الأشخاص الذين رافقوا الفرعون إلى قبره لم يقتلوا بل قاموا بالانتحار طوعا عن طريق تناول السم. الأوربيين أيضا مارسوا التضحية البشرية بأشكال مختلفة ذبحا وحرقا وغرقا، وقد وصف الرحالة العربي ابن فضلان أثناء رحلته إلى ارض الرس (الفايكنغ) في القرن العاشر للميلاد كيف أنهم كانوا يقتلون الجواري ليرافقن أسيادهن في رحلة ما بعد الموت (راجع رحلة ابن فضلان وحديثه عن ساحرة الموت التي كانت تقتل الجواري)، أما حضارات أمريكا القديمة

(الميسوامريكا) فقد كانت في طليعة الأمم من حيث عدد الأضاحي البشرية والتفنن في قتلها وسلخها وحتى التهام أجزاء منها، وكانت قلوب هذه الأضاحي تقدم للآلهة في طقوس دموية تقام على مدار السنة (راجع موضوع الازتك والأضاحي البشرية).

الحديث حول الأضحية البشرية في العالم القديم قد يطول ويحتاج إلى عدة مقالات للإحاطة به لكننا ذكرنا هذه المقدمة القصيرة لكي تعلم عزيزي القارئ أن عادة التضحية بالبشر لم تختص بها أمة دون أخرى بل إن اغلب شعوب الأرض مارستها وحتى الكتب السماوية احتوت على إشارات عنها مثل قصة نبي الله إبراهيم عندما أراد ذبح ابنه ليثبت إيمانه القوي وطاعته لأوامر الله وقد كاد أن يفعل ذلك لولا أن فداه ربه بقربان عظيم.

في الهند، عادة التضحية بالمرأة الأرملة مع زوجها هي عادة قديمة يقال أن الاسكندر المقدوني شاهدها وحاول منعها عند احتلاله للهند في القرن الرابع قبل الميلاد، كما ورد ذكرها في بعض كتب التراث العربي القديمة إذ ذكر لنا الرحالة ابن بطوطة بأنه شاهدها بنفسه أثناء زيارته للهند وانه اغشي عليه لبشاعة المنظر فحمله الناس بعيدا. وهذه العادة يطلق عليها تسمية ساتي (Sati) وتعني بالهندية "المرأة الطاهرة أو المقدسة" ويعتقد أن جذورها تعود إلى بعض المعتقدات الهندوسية القديمة حيث ورد أن زوجة الإله شيفا أحرقت نفسها أمام الحاضرين احتجاجا على أبيها الإله داكشا عندما تجاهل زوجها ولم يدعه إلى وليمة كبيرة أقامها لكبار الآلهة. وهناك عادة أخرى في تاريخ الهند تسمى جوهر قد يكون لها ارتباط وثيق بأصل وجذور الساتي، فعندما كان المحاربين الهندوس القدماء

يخسرون معركة ما، كانت زوجاتهم يقمن بالانتحار جماعيا لإثبات إخلاصهن لأزواجهن المقتولين في ساحات الوغى وللحفاظ على شرفهن من أن يدنسه العدو. ويؤمن الهندوس بأن المرأة "الصالحة" التي تلحق بزوجها الميت إلى النار سوف تحرر نفسها وعائلتها من معاناة عملية البعث والولادة من جديد أي عملية التناسخ .

عقيدة التناسخ : الهندوس يؤمنون بأن الروح خالدة لا تموت ولا تولد ولكنها ببساطة تنتقل من جسد إلى آخر وهذه العملية تتحكم فيها الكارما (Karma) أي أعمال وأقوال الإنسان في حياته السابقة (السيئات والحسنات) وعلى أساسها يتحدد الشكل الجديد الذي سيولدون به فالرجل الميت يمكن أن يولد كامرأة في حياته القادمة أو كحيوان أو طير، ويؤمن الهندوس بأن السبب الذي يجعل الأرواح تنتقل من جسد إلى آخر هو الرغبة في الحصول على الملذات والمتع الدنيوية، ورغم إن الهندوس لا يعتبرون الملذات الدنيوية إثما بحد ذاتها لكنهم يعتقدون بأن هذه الملذات سطحية لا تحقق السعادة والسلام للنفوس. لذلك بعد عدة مرات من الموت والولادة الجديدة تبدأ الروح تدرك محدودية السعادة التي توفرها الملذات الدنيوية وتبدأ تبحث عن السعادة عن طريق التمرينات الروحية (مثل اليوغا) حتى تصل إلى مرحلة عليا تنتهي فيها كل رغبة بالملذات الدنيوية وعند الوصول إلى هذه المرحلة الروحية السامية فأن الروح لن ترغب في الحياة مجددا ولن تنتقل إلى جسد جديد ولن تولد مرة أخرى وستتخلص من معاناة التناسخ وتذهب إلى الجنة الأبدية مع الآلهة. (هذه الكلمات هي

تبسيط كبير لمعتقدات الهندوس حول التناسخ وعقائد حياة ما بعد الموت والغرض منها هو مجرد إعطاء فكرة عن الموضوع).

لا توافق جميع الطوائف الهندوسية على نظام الساتي فهناك بعضها يحرمه لأنه يعتبر الانتحار حرقا فداءا لشخص آخر هو عملية مرفوضة وغير مقبولة، لكن هناك في نفس الوقت طوائف متشددة خصوصا في منطقة راجستان وفي بعض مناطق غرب الهند لازالت تحترم الساتي وتعتبره دليلا على إخلاص المرأة وطهارتها وشرفها، وهناك من يعتقد بان من العوامل التي ساهمت بشكل كبير في ترسيخ الساتي هو الفقر المدقع لبعض طبقات المجتمع الهندي، فالمرأة التي يموت زوجها لن تجد من يعيلها لذلك تخلص نفسها بالانتحار. والمفروض أن الساتي هو عملية اختيارية أي إن الأرملة ليست مجبورة على القيام به لكن للأسف في بعض المناطق لا تعطى الأرملة خيار الرفض وتجبر على الانتحار حرقا مع زوجها الميت. وحتى الزوجات الصغيرات اللواتي قد لا يتجاوز عمرهن العاشرة غير مستثنيات من تطبيق الساتي.

في العادة تقام المحرقة (Pyre) لموتى الهندوس خلال يوم من مفارقتهم الحياة، أي إن الزوجة لديها ليلة واحدة لتقرر تطبيق الساتي أم لا، وتلعب العوامل النفسية دورا كبيرا في هذا الاختيار فعادة ما يتوقع منها الأقارب والجيران القيام بذلك وهذا يؤثر على قرارها بشكل كبير، طبعا هذا على فرض أنها تملك الخيار حقا في الموافقة أو الرفض. وفي حال وافقت الأرملة على تطبيق الساتي فأنها تتعطر وتلبس أفضل ما عندها من ثياب أي الثياب التي لبستها في يوم عرسها لأن الساتي بحد ذاته يعني تجديد

عهد الزواج بين الزوج وزوجته. وبعد أن تهيئ الأرملة نفسها تؤخذ إلى المحرقة وغالبا ما تدخل إليها بمحض إرادتها وتجلس إلى جوار زوجها قبل إشعال النار وأحيانا أخرى تقوم بالقفز إلى داخل المحرقة بعد أن تضطرم فيها النيران وفي حالات نادرة تدخل إلى المحرقة وتجلس إلى جوار جثة زوجها ثم تقوم هي بنفسها بإشعال النار. وقد تسأل عزيزي القارئ ماذا لو دخلت الزوجة إلى المحرقة ثم حاولت الفرار بعد أن نشبت النيران في جسدها وأصابها الألم والجزع؟ وهذه الحالة ممكن أن تحدث فكلنا نعلم كيف إن الإنسان يناضل من اجل حياته بكل ما أوتي من عزم وقوة خصوصا عن الحريق والغريق، لذلك وتحسبا لهذه الحالة فأن الأرملة تربط أحيانا بالسلاسل لكي لا تتمكن من الفرار وهناك قصص عن نساء حاولن الفرار فقام الرجال المتجمعين حول المحرقة بدفعهن وضربهن بواسطة العصي الطويلة حتى تمكنوا من إرجاعهن إلى النار وفي بعض الحوادث قام الجمهور بإمساك الأرملة التي تمكنت من الإفلات والخروج من المحرقة ثم أعادوها ورموها مرة أخرى إلى داخل النار. وغالبا ما يكون العنف مصاحبا للحالات التي تكون الأرملة فيها مجبرة على تطبيق الساتي، فبعضهن يتم سحلهن إلى المحرقة بالقوة من دون الالتفات إلى صراخهن واستنجادهن وتوسلهن بالجمهور ويتم تقيد أطرافهن لكي لا يستطعن الفرار ثم تضرم النار، طبعا غالبا ما تموت الأرملة خلال فترة قصيرة لأنها ستختنق وتفقد وعيها بسبب الدخان حتى قبل أن تصل النار إلى جسدها، أما سيئة الحظ فستتلوى كالخروف المشوي حتى الرمق الأخير.

كما أسلفنا فليس جميع مناطق الهند تطبق الساتي بل إن هناك مناطق تمنع المرأة من تطبيق الساتي حتى لو أرادت هي ذلك وأحيانا يقوم الرجال بإخراجها من النار بالقوة قبل احتراقها عندما تفاجئ الجميع وتقفز إلى المحرقة على حين غرة. كما ان هناك ما يسمى بالساتي الرمزي، أي أن الأرملة تلبس ثياب العروس وتجلس قرب جثة زوجها الميت لكنها تغادر المحرقة قبل إضرام النار فيها.

منذ القرن السادس عشر حاول أباطرة المغول المسلمين حظر هذه العادة وكذلك قام الانكليز بمحاولة القضاء عليها عندما احتلوا الهند، واليوم فأن الساتي ممنوعة في كل أرجاء الهند بموجب القانون ويعاقب أي شخص يساعد الأرملة على تطبيق هذه العادة أو يجبرها على القيام بها، وبسبب المنع فأن حالات تطبيق الساتي أصبحت نادرة جدا لكن تحدث مع ذلك فأحيانا تقوم بعض الأرامل بالقفز إلى داخل نار فجأة قبل أن يتمكن الناس من منعهن وأحيانا يلاقي هذا الانتحار استحسانا كبيرا من الجمهور باعتباره تجسدا لأخلاق الزوجة الهندوسية الطاهرة والمخلصة. ففي عام ٢٠٠٦ قامت عجوز هندية بالقفز إلى النار أثناء جنازة زوجها واحترقت حتى الموت وقبلها بعدة أشهر رمت أرملة شابة بنفسها إلى داخل محرقة زوجها المشتعلة لكن أسرتها وأقاربها تمكنوا من إنقاذها قبل أن تحترق وتموت، وعام ١٩٨٧ قامت زوجة شابة بالقفز إلى محرقة زوجها وسط صيحات التشجيع والاستحسان من آلاف المشاهدين الذين تجمعوا لمشاهدة الجنازة وهو الأمر الذي دفع السلطات الهندية إلى اتخاذ المزيد من الإجراءات المشددة للقضاء على هذه العادة. وهناك حوادث أخرى تحدث

بين الحين والآخر وأحيانا نسمع قصصا عجيبة عن أرامل يعتصمن عن الطعام احتجاجا على منعهن من تطبيق الساتي.

ملاحظة : فى هذا السياق لا مهدف إلى انتقاد الثقافة والديانة الهندوسية أو السخرية منها فكل الأديان تحمل في طياتها بعض الطقوس التي لو جردناها من قيمها الروحية لوجدناها مدعاة للسخرية كما إننا نكن احتراما كبيرا لبعض الجوانب الروحية الجميلة والسامية في الثقافة الهندية مثل (اليوغا) .

لغز التحكم بالعقل

السيطرة على كاندي جونز

هل يمكن أن يعيش الإنسان بشخصيتين ؟ الأطباء النفسيين يقولون نعم، فكلنا لدينا شخصية ثانية مختبئة في مكان ما داخلنا، قد لا نشعر بها ولا نظن أن لها وجود، لكنها تظهر في أحيان نادرة عند التعرض إلى ضغط نفسي شديد وربما تطغي حتى على شخصيتنا الحقيقية خاصة عندما يجد العقل فيها فرارا من واقع مر وتعس، وعادة ما ينسب الناس التباس الشخصية بمسألة تلبس الجن، لكن هذه القصة التي نسطرها لكم اليوم لا علاقة لها بالجان و الأرواح من قريب او من بعيد لكنها تتحدث عن استغلال المعاناة النفسية لامرأة جميلة في وقائع وأحداث قد تبدو اقرب إلى الخيال منها إلى القصة الحقيقة.

عاشت بشخصيتين من دون ان تعلم .. احداهما عارضة ازياء جميلة والثانية جاسوسة خطيرة

مع حلول أعياد الميلاد لعام ١٩٢٥ ولدت كاندي جونز (Candy Jones) في عائلة فقيرة تقطن إحدى مدن ولاية بنسلفانيا الأمريكية، كان اسمها الحقيقي هو جيسيكا ويلكوكس، وقد عاشت طفولة معذبة مع والد مدمن على الكحول وأم متسلطة ذات مشاعر متبلدة وباردة تجاه ابنتها الوحيدة، كانت جيسيكا تتعرض للضرب والعقاب على ابسط الأشياء وازدادت معاناتها بعد أن هجر والدها العائلة عندما كانت في الرابعة من

العمر تاركا إياها مع أم مريضة ومأزومة نفسيا غالبا ما كانت تتركها وحدها في البيت محبوسة لفترات طويلة في غرفة مظلمة وباردة، ولأنها كانت وحيدة وخائفة ولا تجد أحدا تلعب معه لذلك اخترعت الطفلة جيسيكا العديد من الأصدقاء الخياليين لتمضي معهم وقتها، كانت تكلمهم كأشخاص حقيقيين أما هم فكانوا يجيبون بصوتها ولسانها لكن بنبرة مختلفة، ومن بين هؤلاء الأصدقاء الوهميين كانت هناك شخصية "ارلين" التي نمت تدريجيا لتطغي على الآخرين، ورغم انه ليس بالشيء الغريب على الأطفال أن يتحدثوا إلى أنفسهم ويخترعوا الشخصيات الخيالية ليلعبوا معها ثم ينسوها بمرور الزمن وتتلاشى ذكراها من عقولهم خاصة عندما يتعلمون تدريجيا أن محادثة الشخص لنفسه أمام الآخرين أمر مخجل وغير مستحب، لكن مع جيسيكا كان الأمر مختلفا، ربما بسبب طفولتها التعيسة التي تركت في نفسها شرخا وجرحا عميقا رافقها طوال حياتها، لذلك صارت جيسيكا وارلين تعيشان كشخصيتين مختلفتين في جسد واحد، جيسيكا هي الفتاة المتفتحة الرقيقة المتفهمة أما ارلين فكانت نسخة طبق الأصل عن والدة جيسيكا، متسلطة وناقمة تسخر دائما من جيسيكا وتزدريها. ورغم ان جيسيكا استطاعت دوما كبح جماح ارلين ولجمها إلا أنها لم تستطع أبدا التخلص منها.

بسبب إهمال والدتها وغيابها دوما عن المنزل، أخذت جيسيكا تتنقل بين بيوت أقربائها الذين كانوا غالبا ما يعاملوها بقسوة ومهانة، وفي تلك الفترة تعرضت إلى التحرش الجنسي عدة مرات من أشخاص كبار السن كان من المفروض أن يقدموا لها الرعاية والحماية، لكن رغم كل تلك

المآسي فقد تجاوزت جيسيكا محنتها، ظاهريا على الأقل، وكبرت لتصبح شابة ذكية وحسناء فارعة الطول سرعان ما وجدت لها عملا في مجال عروض الأزياء وحصلت أيضا على وظيفة في مسابقة ملكة جمال أمريكا، ونظرا لجمالها الأخاذ وقامتها الطويلة الرشيقة فقد جذبت جيسيكا الأنظار والأفئدة وسرعان ما تحولت إلى نجمة إغراء تتصدر صورها صفحات اغلب المجلات الأمريكية في أربعينيات القرن المنصرم، وفي تلك الفترة أيضا بدلت اسمها الى كاندي جونز وأخذت تشارك في تقديم بعض البرامج الإذاعية.

في عام ١٩٤٥ سافرت كاندي إلى الفلبين مع منظمة الخدمة المتحدة التي تعرف اختصارا بأسم (USO) وهي منظمة تهدف إلى رفع معنويات القوات الأمريكية المحاربة في الخارج عبر تقديم حفلات غنائية يرافقها الرقص وغيره من الوسائل الترفيهية. وأثناء تلك السفرة تعرضت كاندي إلى وعكة صحية مفاجأة خضعت بسببها للعلاج تحت إشراف طبيب أمريكي تم ذكره في الكتابات التي تناولت قصة كاندي جونز تحت اسم مستعار هو "غلبرت هانزن"، وقد تماثلت كاندي للشفاء خلال فترة قصيرة وعادت إلى الولايات المتحدة.

في عام ١٩٤٦ تزوجت كاندي من عارض أزياء اسمه هاري كونوفير وعاشت معه حياة هادئة أنجبت خلالها ثلاثة أطفال، لكن بعد عدة سنوات اكتشفت كاندي عن طريق الصدفة بأن زوجها لديه ميول جنسية مزدوجة (Bisexual)، أي انه يميل لممارسة الجنس مع الرجال والنساء، ولأنها عانت من عقدة التحرش الجنسي أثناء طفولتها المعذبة لذلك لم

تتحمل التعايش مع علاقة جنسية شاذة فطلبت الطلاق وحصلت عليه عام ١٩٥٩. ولأن أمورها المالية تدهورت بشكل كبير بعد الطلاق لذلك قامت بافتتاح مدرسة للأزياء والرشاقة حققت نجاحا لا بأس به كما عادت لتقديم البرامج الإذاعية عبر الراديو.

في احد الأيام من عام ١٩٦٠ دخل رجل متقدم في السن إلى مدرسة كاندي للرشاقة وطلب مقابلتها وقد تعرفت كاندي عليه ما أن رأته إذ كان احد العسكريين الذين ربطتها بهم معرفة وصداقة قديمة عندما كانت تعمل مع منظمات الخدمات المتحدة (USO)، وقد زعم الرجل انه يعمل حاليا مع مكتب التحقيقات الفيدرالية (FBI) وطلب منها مساعدة المكتب عن طريق السماح باستعمال مدرستها كمحطة سرية لتلقي ونقل الرسائل وقد وافقت كاندي على ذلك الطلب بدافع من الوطنية.

في عام ١٩٧٢ التقت كاندي بمالك إحدى محطات الإذاعة الشهيرة ويدعى جون نبيل كانت قد عرفته أيام شبابها في الأربعينات عندما كانت تعمل كموديل وعارضة أزياء فيما كان هو يعمل مصورا فوتوغرافيا حينذاك، وسرعان ما ارتبط الاثنان بعلاقة حب حميمة انتهت بزواجهما بعد اقل من شهر على لقائهما الأول. كانت محطة جون نبيل تقدم برنامجا إذاعيا ناجحا يتناول الأمور غير الطبيعية مثل الصحون الطائرة والأشباح .. الخ وأخذت كاندي تساعد زوجها في محطته نظرا لخبرتها السابقة في تقديم البرامج الإذاعية. ورغم أن علاقة الزوجين بدت رائعة ومثالية إلا إن جون لاحظ بعد فترة قصيرة من الزواج عدة أمور غريبة بدئت تطرأ على تصرفات زوجته، فأحيانا كان يحدث تغير عجيب في شخصيتها فتتحول فجأة

إلى إنسانة عصبية وشرسة وحتى نبرة صوتها تتبدل بشكل مخيف، وقد أطلق جون على هذه الحالة اسم "الصوت"، ومع أن هذا التغير في شخصية كاندي كان سرعان ما يختفي خلال لحظات إلا انه أثار حيرة وفضول زوجها، ثم حدث أمر غريب أخر، ففي احد الأيام أخبرت كاندي زوجها فجأة أنها تعمل مع مكتب التحقيقات الفيدرالية وأنهم يرسلوها أحيانا في مهمات لنقل رسائل معينة إلى مدن أخرى داخل الولايات المتحدة ولذلك طلبت منه أن لا يقلق إذا تركت المنزل واختفت فجأة لعدة أيام من دون أن تخبره أو تتصل به، كما لاحظ جون ان زوجته غالبا ما كانت تعاني من الأرق وأنها غالبا ما تهذي بكلمات غير مفهومة أثناء نومها القصير والمتقطع.

نظرا لاهتمامه بأمور ما وراء الطبيعة التي كان يقدم عنها برنامجا إذاعيا في محطته فقد تمتع جون بخبرة بسيطة في مجال التنويم المغناطيسي ومع انه لم يسبق أن قام بتنويم أي شخص في السابق إلا انه اقترح على زوجته أن يخضعها لجلسة تنويم على أمل أن يساعدها ذلك في تجاوز مشاكلها النفسية ويخلصها من الأرق والنوم المتقطع، في البداية لم تأخذ كاندي الأمر بجدية إلا أنها وافقت في النهاية، وقد نجح جون في تنويم زوجته بسهولة لم يصدقها هو نفسه، وفي تلك الليلة تمتعت كاندي بنوم مريح لم تنعم بمثله منذ سنوات طويلة لذلك ألحت على زوجها في أن يخضعها للمزيد من جلسات التنويم المغناطيسي، وسرعان ما بدء جون من خلال هذه الجلسات باكتشاف أمور لم يكن يعرفها عن زوجته خاصة عن طفولتها وشبابها، كما كانت هناك تغيرات عجيبة تطرأ عليها أثناء التنويم، أحيانا كانت تتحول إلى طفلة وتتكلم بصوت طفولي وأحيانا أخرى كانت

تتحول إلى شخصية غامضة تدعى ارلين تختلف سماتها كليا عن شخصية كاندي الرقيقة المحببة.

خلال جلسات التنويم المغناطيسي الطويلة التي استمرت على مدى عدة أشهر اكتشف جون بعض الحقائق الصادمة عن زوجته، ربما كان أكثرها وقعا عليه هو كونها تعمل مع وكالة المخابرات المركزية (CIA) وأنهم يرسلونها بين الحين والأخر في مهمات خارج الولايات المتحدة إلى بلدان بعيدة مثل تايوان وكوريا وفيتنام، لكن الغريب ان كاندي لم تكن تعلم أي شيء عن عملها هذا ولا عن المهمات التي تقوم بها، والسبب في ذلك أنها كانت تذهب بجسد كاندي ولكن عقلها وذاكرتها كانا يعملان تحت تأثير شخصية ارلين التي استطاع عملاء وكالة المخابرات المركزية إخراجها إلى الوجود والتحكم بها عن طريق برنامج التحكم بالعقل لقد عرف جون من خلال جلسات التنويم المغناطيسي كيف تم تجنيد زوجته، ففي احد الأيام دلف إلى مدرستها رجل ادعى انه يعمل في مكتب التحقيقات الفيدرالية وطلب منها أن تقوم بنقل رسالة إلى احد المنازل في مدينة أوكلاند الأمريكية، وبما أنها كانت متعاونة مع مكتب التحقيقات منذ سنوات، أو بالأحرى هكذا كانت تظن، لذلك وافقت على القيام بهذه المهمة وسافرت بالفعل إلى مدينة أوكلاند وتوجهت مباشرة إلى المنزل المعنونة إليه الرسالة لتجد في انتظارها مفاجأة لم تخطر على بالها أبدا، فالرجل الذي استقبلها في منزل أوكلاند كان هو نفسه الطبيب "غلبرت هانزن" الذي عالجها في الفلبين عام ١٩٤٥ وكان هناك معه طبيب أخر يدعى "مارشال برغر"، وقد اخبر الرجلان كاندي بأنهما يقومان بأبحاث علمية في مجال التنويم

المغناطيسي وعرضا عليها أن ينوماها مغناطيسيا، بحجة إجراء تجارب، مقابل مبلغ كبير من المال، وبما إن كاندي كانت مطلقة في ذلك الحين وكانت بحاجة ماسة إلى المال من اجل دفع أقساط أولادها الدراسية، لذلك وافقت على ان يقوم الرجلان بتنويمها مغناطيسيا، ولأن الدكتور هانزن كان على دراية بحالة كاندي النفسية منذ عام ١٩٤٥ حين عالجها في الفلبين لذلك فقد أخرج شخصية ارلين المختبئة داخل عقلها ثم قام بصقلها وتقويتها حتى كون لها شخصية وذاكرة منفصلة، وهكذا فأن شخصية ارلين هي التي جندت من قبل المخابرات وأرسلت إلى معسكرات التدريب السرية حيث تم تعليمها على فنون القتال وكتابة الشفرات وفكها وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالجاسوسية، أما كاندي فلم تكن تعلم أي شيء مما يجري لها إذ كانت ذاكرتها تتلاشى عندما تظهر شخصية ارلين فيتغير كل شيء فيها، طريقة كلامها ومشيتها وماكياجها وملابسها، كان كل شيء مبرمجا حسب أساليب مشروع التحكم بالعقل والذي كان من أول أهدافه هو خلق جواسيس يعملون بذاكرة مؤقتة ومنفصلة عن ذاكرتهم الحقيقية بحيث يمكن مسحها أو دفنها في مكان ما من العقل ما أن تنتهي المهمة.

في عام ١٩٧٤ صدر كتاب للمؤلف دونالد بين بعنوان "السيطرة على كاندي جونز" تناول بالتفصيل ملابسات قضيتها، وقد واجه الكتاب عند نزوله إلى الأسواق العديد من الانتقادات، فبالإضافة إلى إنكار وكالة المخابرات المركزية لأي علاقة لها بكاندي جونز فأن العديد من الناس ظنوا أن الكتاب برمته هو من اختراع جون نبيل زوج كاندي والذي كانت إذاعته مشهورة ببث أخبار مبالغ فيها عن مواضيع ما وراء الطبيعية من اجل

التشويق والإثارة وجذب المستمعين، كما إن أحدا لم يصدق أن تقوم كاندي جونز بجميع المهمات المذكورة في الكتاب وتمضي أياما طويلة في التدريب والسفر إلى دول أخرى تبعد آلاف الأميال دون أن يعلق في ذاكرتها شيء مما قامت به. لكن في أواخر عام ١٩٧٤ حدث شيء جعل الناس يغيرون نظرتهم لقصة كاندي جونز، فقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز مقالا فضحت فيه المشروع السري الذي تديره وكالة المخابرات المركزية تحت اسم "ام كي الترا" والمتعلق بالتحكم والسيطرة على العقل، وسرعان ما بدئت الحقائق والفضائح تتوالى واحدة اثر أخرى حتى أن الكونغرس الأمريكي قام بتشكيل لجنة تحقيق انتهت إلى أن مشروع التحكم بالعقل هو مشروع حقيقي صرفت عليه ملايين الدولارات من أموال دافعي الضرائب وأن آلاف الأمريكان خضعوا بدون علمهم لتجاربه واختباراته على مدى ثلاثة عقود.

و بالإضافة إلى جلسات التنويم المغناطيسي التي كان جون قد سجلها برمتها للاحتفاظ بها كدليل، فقد قدمت كاندي جونز أدلة أخرى على صدق قصتها، منها شهادة أشخاص مقربين منها أكدوا أنها ومنذ فترة الخمسينات كانت تختفي أحيانا لعدة أيام من دون أن تخبر أحدا بوجهتها وحين كانت تعود لم تكن تتحدث مطلقا عن أين ذهبت وماذا فعلت في فترة غيابها، كما أن كاندي قدمت دليلا أخر تمثل في جواز سفر يحمل اسم "ارلين غلبرت" ويحمل صورة لها لكن بماكياج وتسريحة شعر وملابس مختلفة عن تلك التي اعتادت ودرجت عليها. كما أن دونالد بين مؤلف كتاب "السيطرة على كاندي جونز" ذكر أن هاتف منزل كاندي سجل رسالة صوتية غريبة عام

١٩٧٣ كانت مرسلة من القاعدة الجوية الأمريكية في اليابان إلى سيدة تدعى سنثيا وتحمل في طياتها رموزا وأوامر غير مفهومة وقد اعتقد دونالد بشدة في أن سنيثيا هو الاسم الحركي لشخصية أرلين وأن الرموز التي في الرسالة هي شفرة للقيام بمهمة ما.

في عام ١٩٨٠ كادت كاندي جونز تفقد حياتها في انفجار غامض، ورغم إحساسها المستمر بالخطر إلا أنها لم تتراجع أبدا عن قصتها وظلت تصر على أنها حقيقية في جميع المقابلات الصحفية والإذاعية التي أجريت معها حتى وافاها الأجل عام ١٩٩٠.

لغز أكثر مشاريع المخابرات الأمريكية سرية

العقل هو اخطر جزء في جسم الإنسان فهو مركز الفكر ومركز التحكم بالجسد وما حركتنا وأقوالنا إلا ترجمة لأوامره، لذلك إذا أردت التحكم في شخص فعليك أولا التحكم بعقله، وطبعا هذه العملية ليست بسيطة فليس من السهل تحويل شخص ما إلى جاسوس أو مخرب أو انتحاري، إنها عملية طويلة وعلم كامل له وسائله وأساليبه و عقاقيره وقد اهتمت الدول الكبرى بهذا المجال منذ عقود طويلة وأقامت لأجله مشاريع غاية في السرية تم خلالها أحيانا انتهاك حقوق الإنسان وتحويله إلى فأر تجارب، ورغم التكتم الشديد على هذه المشاريع إلا أن بعض التحقيقات نجحت في إماطة اللثام عن بعض تفاصيلها وتسببت بفضائح كبيرة ومدوية خاصة وأن قسم منها جرى على أراض دول طالما تشدقت باحترام الإنسان وحقوقه.

مئات الاشخاص تم استخدامهم في برنامج سري امريكي بدون علمهم

في حقبة الثلاثينات من القرن المنصرم شيد النازيون العديد من معسكرات الاعتقال في ألمانيا وأرسلوا إليها جميع من تم تصنيفهم كخطر على نظامهم القمعي أو على نظرية نقاء العرق الآري الألماني لذلك سرعان ما اكتظت هذه المعتقلات بأعداد كبيرة من المعارضين السياسيين واليهود والغجر والعاهرات ومثليي الجنس ثم أضيف إليهم لاحقا الملايين من أسرى جنود الحلفاء خاصة في بداية الحرب العالمية الثانية حين حققت الجيوش الألمانية النازية انتصارات كبيرة على جميع الجبهات. وبعد انتهاء الحرب

بهزيمة النازية عام ١٩٤٥، كشف الحلفاء المنتصرين عن الكثير من الجرائم البشعة التي اقترفت داخل السجون والمعتقلات الألمانية ومنها إعدام الملايين من البشر في عنابر الغاز سيئة الصيت إضافة إلى ملايين أخرى فارقت الحياة نتيجة سوء التغذية وتفشي الأمراض. ومن الجرائم التي ركز الحلفاء عليها وطبلوا لها باعتبارها دليلا قاطعا على وحشية النظام النازي هي التجارب والاختبارات التي أجراها العلماء والأطباء الألمان على السجناء داخل المعتقلات والتي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء ، وقد شملت هذه التجارب النازية مختلف المجالات العلمية والطبية مثل دراسة آثار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية على البشر وتجربة عقاقير مختلفة الأغراض على السجناء لاختبار مفعولها وكذلك دراسات حول الوراثة دارت بشكل محوري حول تنقية العرق الآري الألماني مما اعتبره النازيين شوائب عرقية وكانت هناك أيضا تجارب انصبت على دراسة سلوك الإنسان ومحاولة تطوير طرق وأساليب تساهم في السيطرة عليه وتحويله إلى أداة مطيعة يمكن الاستفادة منها في عمليات تخدم النظام النازي. وعبر عرض هذه الجرائم بالتفصيل حاول الحلفاء إظهار أنفسهم على أنهم الطرف المدافع عن حقوق الإنسان وكرامته متناسين في نفس الوقت العديد من الجرائم التي اقترفتها جيوشهم خلال الحرب أو في مستعمراتهم حول العالم، وقد تجلى نفاق الحلفاء بصورة واضحة في الطريقة التي تعاملوا بها مع العلماء الألمان، فمع أن العديد من هؤلاء العلماء خدموا النظام النازي بإخلاص وامنوا بمبادئه واقترفوا بأسمه العديد من الجرائم البشعة ضد الإنسانية إلا انه جرى التفاوض معهم سرا وخيروا بين أمرين احدهما هو

تقديمهم للمحاكمة كمجرمي حرب مع احتمال كبير بأن تصل عقوبتهم إلى الإعدام والخيار الثاني هو إسقاط جميع التهم الموجهة إليهم والتوقف عن ملاحقتهم مقابل الاستفادة من خبراتهم في خدمة الدول التي تحتجزهم وسيتم توفير حياة مرفهة لهم ولعوائلهم، وبالطبع فقد فضل اغلب هؤلاء العلماء الخيار الثاني، وهكذا تم تقاسم العلماء الألمان سرا بين دول الحلفاء فنقلوا إلى مختبرات ومعامل أبحاث جديدة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق وبريطانيا وفرنسا وتم الاستفادة من خبراتهم في مختلف المجالات العلمية وعلى الخصوص في مجال الفيزياء والذرة حيث ساهم هؤلاء بشكل خاص في دفع برامج الدول الكبرى للتسلح النووي بخطوات كبيرة إلى الإمام.

مجموعة من العلماء الألمان الذين نقلوا سرا للولايات المتحدة كان لهم باع طويل في مجال البحث عن أنجع السبل لحمل جواسيس وأسرى العدو على الاعتراف بمعلومات مهمة وحيوية وذلك عن طريق ممارسة أساليب التعذيب الجسدية والنفسية المختلفة عليهم وكانت لهم أبحاث ودراسات حول قياس مدى تحمل البشر للتعذيب وطرق غسل الدماغ والسيطرة على عقول الأشخاص بهدف تجنيدهم والاستفادة منهم، وبما أن هذه الدراسات والأبحاث تدخل مباشرة ضمن نطاق عمل الأجهزة الأمنية المكلفة بجمع المعلومات عن العدو لذلك قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) باحتضان هؤلاء العلماء للاستفادة من خبراتهم وأصبحوا فيما بعد اللبنة الأولى لمشروع سري ضخم تم تأسيسه خلال عقد الأربعينات من القرن المنصرم تحت اسم ام كي ألترا (MK-ULTRA)

كان الهدف الرئيسي منه هو دراسة العقل البشري والبحث عن أفضل الأساليب لتطويعه والسيطرة عليه، مثلا اختراع مادة أو عقار يعزز التفكير غير المنطقي لدى المتلقي إلى درجة انه يصبح أضحوكة ومحل للسخرية والتندر من قبل الآخرين وكان الهدف من هذا العقار هو استخدامه ضد شخصيات سياسية ودولية معادية للولايات المتحدة مثل فيدل كاسترو في كوبا، ومن الأهداف الأخرى للمشروع :

- اختراع عقاقير تجعل عملية التنويم المغناطيسي أسهل وتعزز من فعاليتها.
- اختراع عقاقير تعزز القدرة على تحمل التعذيب والاحتجاز والضغط النفسي.
- اختراع عقاقير تسبب فقدان الذاكرة بعد القيام بمهمات معينة.
- إيجاد طرق وأساليب بدنية تولد الشعور بالصدمة والاختلال الذهني لفترة معينة من الزمن.
- اختراع عقاقير تغيير تركيبة الشخصية (العواطف والأحاسيس والشعور) بشكل كلي.
- اختراع عقاقير تسبب تشوش ذهني للمتلقي فيعجز عن الاستمرار في التصنع والخداع أثناء التحقيق معه.
- اختراع عقاقير تعزز من الشعور بالتعب والهلوسة البصرية والسمعية لدى المتلقي.

- كبسولة يمكن أن يتناولها المتلقي عن طريق الماء أو الطعام أو السيجار وتؤدي إلى فقدان مؤقت للذاكرة.
- اختراع عقاقير يؤدي تناول كمية صغيرة منها إلى عدم قدرة المتلقي على القيام بأي مجهود بدني.
- اختراع عقاقير تستطيع أن تبطل أو توقف التأثير المسكر الناتج عن تناول الكحول.
- اختراع عقاقير تعزز وتقوي التأثير المسكر الناتج عن تناول الكحول.
- اختراع عقاقير يمكن أن تولد أعراض كاذبة مشابهة لأعراض بعض الأمراض المعروفة.

و تم تسخير مختلف الإمكانات الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية لغرض تحقيق الأهداف أنفة الذكر وخصصت ملايين الدولارات من اجل الأبحاث المتعلقة بها، وخلال عقدين من الزمن تم إخضاع المئات من المواطنين الأمريكان لهذه التجارب بدون علمهم وتم حقنهم بمختلف أنواع العقاقير الطبية لدراسة تأثيرها عليهم، وربما يكون عقار ال اس دي (LSD) .

وعقار ال اس دي (Lysergic acid diethylamide) هو من أقوى عقاقير الهلوسة ولذلك تم منعه في اغلب دول العالم وتم حضره بدون وصفة طبية وهو عقار قوي جدا لذلك تقاس جرعاته بالمايكروغرام (عام

١٩٦٢ مات فيل بالغ بسبب تناوله لأقل من ثلث غرام من هذه المادة). تناول هذه المادة يؤدي إلى أعراض وتأثيرات تستمر لعدة ساعات وعادة ما تسمى بالرحلة وهي تتفاوت من شخص إلى آخر - في الغالب يشعر الشخص بأن ألوان المحيط الذي هو فيه تبدأ بالتوهج وتبدو كأنها تتحرك وتتنفس - ظهور رسوم وأشكال متحركة على الجدران - تشوه الإحساس بالزمن فيبدو كأنه يتمطى ويكرر نفسه وتتغير سرعته وأحيانا يتوقف تماما - التعرض لما يشبه تجربة الخروج من الجسد – التعرق وجفاف الفم من اعرض تناول العقار كما يرتفع ضغط الدم وتزداد دقات القلب – مختلف الهولسات البصرية والسمعية .. الخ، طبعا هذه الأعراض ليست ثابتة فهي تختلف من شخص لأخر كما تختلف مدة الرحلة وهلوستها حسب مقدار الجرعة التي يتناولها الإنسان ولهذا السبب يبدو أن المخابرات المركزية قد تخلت عن استعمال هذه المادة لأنه من الصعب جدا التكهن بتصرفات الأشخاص عندما يكونون تحت تأثيرها، وبسبب طبيعة هذه المادة فقد شاع استعمالها بين الجماعات الدينية والروحانية كما إن هذه المادة لا تسبب الإدمان.

هو الأكثر استخداما في هذه التجارب وهو عقار يسبب حالة قوية من الهلوسة تستمر لمدة زمنية طويلة نسبيا لكنها تتفاوت حسب الجرعة التي يتناولها المتلقي، وقد استعملت وكالة المخابرات أساليب اقل ما يقال عنها أنها دنيئة لاصطياد الأشخاص وحقنهم بهذه المادة، ففي إحدى العمليات التي أطلق عليها اسم "ذروة الليل" قامت وكالة الاستخبارات المركزية بفتح عدة بيوت دعارة وزودتها بكاميرات ومرايا وقواطع زجاجية تتيح الرؤية

من طرف واحد ثم بدئت باختيار بعض الأشخاص من زوار هذه المواخير واستعملت طرقا متعددة لجعلهم يتناولون عقار ال اس دي بدون علمهم ثم صورت بالتفصيل ما يحدث لهم من أعراض وردة فعل على تناول تلك المادة، وقد تسأل عزيزي القارئ عن مغزى استخدام بيوت الدعارة لاصطياد الضحايا والسبب يكمن ببساطة في ان رواد هذه المواخير لن يجرؤا على التقدم بشكوى خوفا من الفضيحة وكذلك لأن هذه المواخير غير قانونية وبذلك سيتعرضون هم أنفسهم للملاحقة القانونية. وهناك أماكن أخرى تعرض روادها للتجارب والاختبارات بدون علمهم وفي مقدمة هذه الأماكن تأتي مصحات الأمراض العقلية والنفسية وذلك لسهولة حقن مرضاها بالعقاقير واختبار آثارها عليهم من دون أن يثير ذلك أي شبهة أو لغط، كما تم إجراء التجارب في المستشفيات والجامعات ومعسكرات الجيش والسجون واجري قسم منها في المستشفيات الكندية وتعاون العديد من الأطباء والعلماء المرموقين في تنفيذ هذه التجارب التي شملت اختبارات على العقاقير الطبية واستخدام الصدمات الكهربائية والتنويم المغنطيسي إضافة إلى تجارب مسح الذاكرة وغسل الدماغ ودراسات حول أمراض نفسية مثل الرهاب وانفصام الشخصية.

اثر ازدياد اللغط والشائعات حول مشروع ام كي الترا، قامت الاستخبارات المركزية عام ١٩٧٣ بحرق وإتلاف اغلب الوثائق المتعلقة بالمشروع فضاعت إلى الأبد الكثير من الحقائق المتعلقة به وكذلك طويت صفحة الجرائم والانتهاكات التي اقترفت أثناء تلك التجارب، وأشهر تلك الجرائم هي مقتل الخبير فرانك اولسن المتخصص في برامج الأسلحة

البيولوجية في الجيش الأمريكي والذي أعطي عقار ال اس دي بدون علمه فقام تحت تأثير العقار بالقفز من شباك غرفته في الطابق العاشر من إحدى المباني ومات في الحال، طبعا هذه هي الرواية الرسمية للحادث، أما عائلة فرانك اولسن فتصر على أن المخابرات المركزية قامت بقتله بسبب تهديده إياها بفضح برامج ومشاريع على درجة عالية من السرية تتعلق بالتحكم بالدماغ عن طريق التخدير والتنويم المغناطيسي، وقد جرى استخراج رفات فرانك اولسن من قبره عام ١٩٩٤ وتم تشريحه مجددا وقد أظهرت النتائج بشكل لا يقبل اللبس بأنه تعرض للضرب العنيف قبل رميه من شباك غرفته وانه كان على الأغلب فاقدا للوعي عندما هوى إلى الأرض.

عام ١٩٧٤ نشرت جريدة النيويورك تايمز مقالا حول أنشطة وتجارب سرية مارستها وكالة الاستخبارات المركزية والجيش الأمريكي على مواطنين أمريكان وقد أثار هذا المقال ضجة كبيرة في الولايات المتحدة فتم على أثرها تشكيل لجنة في الكونغرس الأمريكي لتحقيق في هذه المزاعم، وخلال التحقيقات وجلسات الاستماع التي استمرت لعدة سنوات تم الكشف عن بعض جوانب مشروع ام كي الترا للتحكم بالعقل لكن الصورة الكلية والحجم الفعلي للتجارب ونوع المهمات التي نفذت ستبقى طي الكتمان للأبد، وعلى اثر التحقيقات قامت حكومتي كل من الولايات المتحدة وكندا بدفع تعويضات مالية ضخمة لمجموعة من الأشخاص في البلدين ثبت بأنهم كانوا ضحايا للتجارب بدون علمهم، ومن ضمن من تم تعويضهم هم عائلة الخبير فرانك اولسن التي حصلت على مبلغ ٧٥٠٠٠٠ دولار.

في الحقيقة لا احد يعلم حتى اليوم طبيعة المهمات والعمليات السرية التي نفذتها المخابرات المركزية الأمريكية بواسطة مشروع التحكم بالعقل، وربما تكون مازالت تستخدمها حتى اليوم، وخلال العقود الثلاثة المنصرمة ظهرت العديد من النظريات والفرضيات حول أحداث ربما يكون لمشروع التحكم بالعقل صلة بها، وقد تكون أشهر هذه الحوادث هي اغتيال نائب الكونغرس الأمريكي روبرت كنيدي الذي اغتيل على يد شاب فلسطيني مسيحي يدعى سرحان بشارة سرحان عام ١٩٦٨ ويذهب البعض ممن يؤمنون بنظرية المؤامرة إلى أن سرحان كان منوما مغناطيسيا أثناء إطلاقه النار على النائب ومرافقيه. ومن الحوادث الأخرى التي يعتقد أن للمخابرات المركزية ومشروع التحكم بالعقل يد فيها هي حادثة مزرعة جونز تاون وحادثة الانتحار الجماعي التي وقعت فيها وراح ضحيتها أكثر من ٩٠٠ شخص، فالبعض يعتقد أن جيم جونز مؤسس طائفة معبد الشعب (كان يعمل مع المخابرات المركزية أو انه كان تحت سيطرتها وان مخيم جونز تاون كان جزءا من مشروع للتحكم بالعقل تديره المخابرات الأمريكية وان عملية الانتحار الجماعي كان الغرض منها هو التغطية على الانتهاكات التي تمت في المخيم وعمليات غسل الدماغ التي مارسها جيم جونز على أتباعه. وهناك أيضا العديد من الجرائم والأحداث الغامضة في العالم التي لا يعرف على وجه الدقة كيف نفذت، مثل اغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق جون كنيدي وهجمات الحادي عشر من سبتمبر.

أصبح مشروع التحكم بالعقل موضوعا مشوقا للعديد من الأفلام هوليوود السينمائية التي تدور حول أشخاص تم مسح ذاكرتهم أو تعرضوا

لغسيل الدماغ وتم إرسالهم لتنفيذ مهمات معينة أو عن أشخاص ينومون مغناطيسيا ويرسلون للقيام بعمليات انتحارية، ورغم ان اغلب حبكات هذه الأفلام هي خيالية أو على الأقل لم يثبت أنها صحيحة، لكن ذلك لا يمنع من وجود العديد من القصص الحقيقية لأشخاص ادعوا أنهم اخضعوا بدون علمهم لتجارب مشروع ام كي الترا، وقد تكون أشهرها في هذا المجال هي قصة عارضة أزياء ومقدمة برامج إذاعية تدعى كاندي جونز مرت بتجربة مخيفة عاشت أثنائها بشخصيتين، إحداهما عاشت بها مع الناس كإنسانة جميلة ورقيقة أما الشخصية الأخرى فمخيفة وغامضة عملت لخدمة وكالة المخابرات المركزية لا يعلم أسرارها سوى الله، إنها قصة عجيبة أفردنا لها مقالا خاصا بها سننشره في اقرب وقت.

لغز متلازمة الموت المفاجئ أثناء النوم

الخرافة والتفسير العلمي

بعض القضايا تدفع الناس الى الإيمان بالخرافة، خاصة عندما يعجز العلم عن تقديم تفسير واضح ومفهوم لها، و إحدى هذه القضايا هي متلازمة الموت المفاجئ أثناء النوم، فغرابة هذه الحالة ناتجة عن ضحاياها الذين هم في الغالب من الشباب الأصحاء الأقوياء الذين لا يشكون أي عارض مرضي لكنهم لا يستيقظون من نومهم ويتحولون الى جثة هامدة تعلوا وجوههم مسحة من الخوف كأنما شاهدوا منظرا مرعبا قبل ان يفارقوا الحياة، وقد حيكت الكثير من الخرافات حول هذه القضية وكتبت الكثير من النظريات والابحاث العلمية، لكن يبقى اللغز بدون حل.

هل هو مرض ام جنية شريرة تمتطي صدور ضحاياها وتقتلهم خنقا

متلازمة الموت المفاجئ وغير المفسر (**Sudden unexplained death syndrome**) هي حالة موت غير متوقع ومفاجئ تحدث أثناء النوم ولا يوجد أي تفسير طبي مقنع لحدوثها اذ تصيب الشباب الأصحاء الذين لا يشكون أي عارض خطير مثل أمراض القلب التي تؤدي في العادة الى الوفاة المفاجئة، اغلب الضحايا من الرجال ومتوسط أعمارهم في الثالثة والثلاثين وجميعهم فارقوا الحياة أثناء النوم، وهناك عدد قليل ممن مروا

بالحالة ولكنهم نجوا من الموت وهؤلاء وصفوا تجربتهم بأنهم استيقظوا من النوم على شعور بالخوف المفاجئ وحالة شلل وعدم القدرة على الحركة وكان هناك شيء ما يضغط على صدورهم بقوة حتى يكاد يخنقهم إضافة الى إحساسهم بوجود شخص او كائن ما معهم في الغرفة لكنهم لا يستطيعون رؤيته.

تم الانتباه للحالة للمرة الأولى في الولايات المتحدة في سبعينيات القرن المنصرم جراء حدوث عدة وفيات مفاجئة بين اللاجئين من عرق الهمونغ الآسيوي ومنذ ذلك الحين سجلت أكثر من مئة حالة وفاة لنفس السبب. في آسيا الحالة قديمة ومعروفة بين السكان في لاوس والفلبين وخاصة بين الرجال من عرق الهمونغ لذلك يعتقد العلماء بأن العوامل الوراثية تلعب دورا كبيرا في حدوثها، ويعتقد بأن الحالة تصيب ٤٣ من بين كل مئة ألف شخص، ويحاول الأطباء إيجاد تفسيرات منطقية للحالة من أهمها هي تلك المتعلقة بالقلب، فرغم ان الضحايا في الغالب لا يعانون أي عارض او مرض قلبي الا ان العلماء يؤكدون حدوث عدم انتظام في دقات القلب أثناء حدوث المتلازمة وان الضحية يمكن ان ينجو من الموت في حالة عادت دقات القلب الى حالتها الطبيعية، ومن التفسيرات الأخرى هي حدوث تسمم نتيجة تعاطي المخدرات، أمراض الصرع، التهاب حاد في البنكرياس، اضطرابات النوم، الأمراض الجينية، وغيرها من العلل والأسباب التي رغم تعددها وتنوعها الا ان السبب الحقيقي لحدوث المتلازمة يظل لغزا مجهولا بالنسبة لأغلب الأطباء والعلماء.

هناك بعض الباحثين في مجال الفلكلور يعزون متلازمة الموت المفاجئ الى بعض المعتقدات الخرافية التي يؤمن بها الهمونغ بشدة والتي تحفز حدوثها لديهم، فهم يؤمنون بأن هناك مخلوق اسمه بتي بات يصورنه على شكل جنية او ساحرة عجوز تجثم على صدور ضحاياها وترسل لهم كوابيس مرعبة حتى تقتلهم وبما ان اغلب ضحاياها هم من الرجال لذلك فأن الكثير من رجال الهمونغ يرتدون الملابس النسائية قبل النوم حتى يخفوا انفسهم عن عيون العجوز الشريرة، وقد ساهمت نظرة الخوف والهلع التي تعلو وجوه أغلب ضحايا متلازمة الموت المفاجئ في تعزيزهذه الخرافة بقوة، الا ان هذه النظرية لا تفسر لماذا لا تحدث حالات الوفاة هذه بنفس النسبة والعدد لدى بقية الشعوب التي تؤمن بخرافة الروح او الجني الشرير الذي يهاجم ضحاياه عند النوم، خاصة ان هذه الخرافة منتشرة منذ القدم وعرفتها مختلف الأعراق والثقافات بأشكال شتى وهي ترجع بالأساس لما يسمى علميا بحالة شلل النوم (Sleep paralysis) وهو شلل مؤقت يحدث بسبب استيقاظ المخ من النوم من دون ان يرافقه استيقاظ لبقية أعضاء الجسم التي يعطلها المخ أثناء النوم وينتج عن ذلك ان يكون الشخص صاحيا لكنه لا يستطيع تحريك جسمه، ويسمي العرب هذا الحالة بـــ "الجاثوم" او "ابو لبيد" لأنهم يعتقدون بأن جنيا بهذا الاسم يجثم ويلبد على صدر الإنسان.

لغز ال كابوني

رجل المافيا الذي تحول الى أسطورة

رجال المافيا والجريمة المنظمة هم قتلة ومجرمون ولكنهم في الوقت ذاته ساحرون وغامضون!! وهذا الغموض الذي يلف حياتهم والسرية التي تحيط بعملهم هي من أكثر الأمور جاذبية في قصصهم التي حولتها السينما الى مجموعة من أكثر الأفلام نجاحا في التاريخ كفيلم "العراب" الذي استوحى الكثير من أحداثه من الحياة الحقيقية لرجال المافيا، واحد أشهر هؤلاء الرجال هو ال كابوني (Al Capone) زعيم المافيا الشهير الذي تحول الى أسطورة لازالت عالقة في الأذهان رغم مرور عشرات السنين على موته.

زعيم المافيا الاشهر و"عدو الشعب رقم واحد"

غبرايل كابوني كان حلاقا يعمل في إحدى البلدات القريبة من مدينة نابولي الايطالية، كان متزوجا ولديه طفلان عندما قرر الهجرة مع عائلته الى الولايات المتحدة، حاله في ذلك حال الآلاف من الايطاليين الباحثين عن حياة ومستقبل أفضل، وفي عام ١٨٩٣ وصلت العائلة الى نيويورك وسرعان ما وجد غبرايل عملا وانتقل بعائلته للعيش في شقة صغيرة في حي بروكلين، هناك أنجبت زوجته طفلا أخر وأخذت تمارس الخياطة لمساعدته في تحمل نفقات المعيشة، وفي عام ١٨٩٩ رزقت العائلة بمولود

جديد آخر أسموه الفونسو ونادوه اختصارا "ال" حيث سيشتهر مستقبلا بأسم ال كابوني.

على عكس تصور الكثيرين فأن عائلة ال كابوني لم يكن لها تأثيرا سيئا على حياته ولم تكن سببا في انخراطه في عالم الجريمة، فوالده كان رجلا شريفا يكسب رزقه من محل الحلاقة الصغير الذي يملكه ولم يجنح في حياته الى الجريمة ولم يتوقع ان يفعل احد أولاده ذلك، كان متعلما ووالدا حنونا لم يضرب أولاده يوما بل كان يحاورهم وينصحهم دوما وربما يكون ولده البكر فينسينزو هو خير دليل على للتربية الصحيحة التي أولاها لأولاده، فقد عمل كمفتش حكومي واشتهر بنزاهته وحرصه على تطبيق القانون وبقي بعيدا عن إمبراطورية أخيه الإجرامية حتى النهاية. لكن الحياة الهادئة والمستقيمة لعائلة كابوني لم ترق للصغير "ال" الذي أعجب برجال العصابات منذ نعومة أظفاره، ففصل من المدرسة في الرابعة عشر من عمره بعد ان قام بصفع إحدى مدرساته، عمل بعدها لفترة قصيرة في عدة وظائف، منها بائع في محل للحلوى وعامل في محل لتجليد الكتب، ثم انضم الى إحدى العصابات الصغيرة التي عمل معها قوادا في احد مواخير الدعارة والتحق بعد ذلك بعصابة النقاط الخمسة التي كان يتزعمها فرانكي يالي فأشتغل كرجل حماية داخل احد نواديه الليلية، هناك تعرض لجروح في وجهه أثناء مشاجرة مع شقيق إحدى الفتيات فأصبح يعرف باسم وجه الندبة "**Scarface**".

كان ال جريئا وقويا، اتهم بقتل رجلين لكن التهمة لم تثبت عليه لعدم وجود الشهود، فقد كان "قانون الصمت" يحكم عمل رجال المافيا فهم

يتقاتلون ويصفون حساباتهم فيما بينهم ولكنهم لا يتحدثون الى الشرطة أبدا وأي واحد منهم يخالف هذا القانون فأنه يعرض نفسه لموت محتم ويصبح هدفا للجميع، الأصدقاء قبل الأعداء.

في عام ١٩١٩ تعرف ال كابوني على ميا كوفلن وهي فتاة ايرلندية الأصل تكبره بعامين وتزوج بها بعد ان أنجبت له ابنه الوحيد البرت، وفي عام ١٩٢١ تشاجر ال كابوني مع رجل ينتمي الى عصابة منافسة وأصابه بعدة جروح لذلك قرر فرانك يالي إرساله الى شيكاغو ليتوارى عن الأنظار حتى تهدئ الأمور.

اليد السوداء .. عصابة شيكاغو والتسلق نحو القمة

في مطلع القرن العشرين كان جيمس كولوزمو يدير بيتا للدعارة في شيكاغو، كان أنيقا ولم تعن له الحياة سوى المال والنساء وقد تزوج من قوادة اسمها فيكتوريا موريسكو وقام الاثنان عام ١٩٠٢ بافتتاح بيت دعارة آخر ثم توسعوا تدريجيا ليسيطروا على المزيد من المواخير حول المدينة واخذوا يجنون الارباح الطائلة.

في تلك الفترة كانت هناك عصابات تسمى "اليد السوداء"، كانت تعتمد اسلوبا صقليا قديما لابتزاز الأغنياء فتبعث رسالة الى ضحيتها تطلب فيها بأن يدفع لها مبلغا من المال وتذيل الرسالة بيد منقوعة في الحبر الأسود ولذلك سميت اليد السوداء وكان الذين يرفضون الدفع يتعرضون للقتل وتحرق جثثهم، وفي عام ١٩٠٩ وصلت الى كولوزمو رسالة من هذا النوع لذلك أرسلت زوجته الى ابن اخيها جوني توريو وطلبت منه القدوم الى

شيكاغو لمساعدتهم في التخلص من التهديدات، كان توريو رجل عصابات ويلقب بــ "الثعلب" لدهائه لذلك قام بالاتصال باليد السوداء واخبرهم بأنه مستعد لدفع المبلغ المطلوب واتفق معهم على مكان وزمان معين للتسليم وعندما حضر هؤلاء لاستلام المبلغ قام هو ورجاله بقتلهم جميعا. أصبح توريو مساعدا لكولوزمو في إدارة واحدة من أضخم المنظمات الإجرامية التي كانت تسيطر على الدعارة والقمار في المدينة وأراد إدخال المنظمة في مجال تهريب الخمور الذي أصبح يدر أرباحا طائلة بعد ان صدر قانون تحريم الخمور في أمريكا عام ١٩١٩ لكنه اصطدم بالرفض القاطع من قبل كولوزمو الذي كان يعتقد بأن دخول هذا المجال سيجلب اليهم أنظار الشرطة ومنافسة العصابات الأخرى، وعندما تفاقم الخلاف بين الاثنان قرر توريو التخلص منه واستعان بال كابوني فتم اغتيال كولوزمو في احد المقاهي وأصبح ال كابوني مقربا من جيمس توريو وسرعان ما علا نجمه داخل المنظمة.

في عام ١٩٢٥ تعرض جيمس توريو الى بعض الجروح نتيجة محاولة اغتيال فاشلة من قبل إحدى العصابات المنافسة لذلك أصابه الخوف وقرر ترك العمل وقفل عائدا الى ايطاليا وأصبح ال كابوني هو الزعيم المطلق لمنظمة شيكاغو الإجرامية وسرعان ما اثبت للجميع بأنه الأفضل في إدارة الأعمال فقد ازدادت الإيرادات لتصل الى مئة مليون دولار في السنة وهو مبلغ ضخم جدا اذا تذكرنا بأننا نتكلم عن عشرينيات القرن المنصرم .

في البداية أحب الناس ال كابوني اذ شبهوه بروبين هود الذي يأخذ من الأغنياء ليعطي للفقراء الا ان هذه الصورة سرعان ما تشوهت نتيجة الصراعات وتصفية الحسابات بين عصابة ال كابوني والعصابات الأخرى والتي كان يذهب ضحيتها الكثير من الأبرياء، ال كابوني نفسه نجا من عدة محاولات اغتيال وفي المقابل كان يقوم بتصفية أعدائه بدون رحمة، كان تحت إمرته الف رجل مدججين بالسلاح اقترفوا الكثير من الجرائم، ابشعها هي تلك التي عرفت بأسم مذبحة يوم القديس فالنتين حيث تنكر عدد من رجاله بزي الشرطة وقاموا بمداهمة وكر إحدى العصابات المنافسة وقتلوا سبعة رجال رميا بالرصاص، وقد ساهمت هذه الجريمة إضافة الى جريمة قتل احد المحققين الشباب في زيادة نفور الناس من أل كابوني رغم انه حاول زيادة شعبيته عن طريق فتح مطاعم تقدم حساء الدجاج للفقراء مجانا وقام ببعض الأعمال الخيرية الأخرى.

ولم تقتصر صراعات ال كابوني على شيكاغو بل امتدت الى مدن أخرى ففي عام ١٩٢٨ بدئت علاقته تسوء مع حليفه في نيويورك وزعيمه السابق فرانكي يالي، وفي احد الأيام تلقى فرانكي اتصالا هاتفيا من مجهول اخبره بأن زوجته تخونه، كانت التهمة ملفقة لكن فرانكي فقد أعصابه ودفعه الشك الى التوجه بسرعة الى منزله بالسيارة بدون حراسة وعندما توقف عند احد التقاطعات بسبب الإشارة الحمراء ظهر عدة رجال مسلحون وأمطروا سيارته بوابل من الرصاص فقتلوه في الحال، وقد اتهم ال كابوني باغتياله لكن التهمة لم تثبت عليه، أقيمت لفرانكي واحدة من افخم جنازات المافيا حيث وضعت جثته في تابوت من الفضة قيمته ١٥٠٠٠ دولار

وشيعت جثمانه ١١٠ سيارات ليموزين وحضر جنازته اغلب زعماء المافيا آنذاك، ولكن لم تخل الجنازة من بعض المواقف الغريبة، ففي الطريق الى المقبرة خرجت من بين الحشود امرأة وبصقت على التابوت، وتبين فيما بعد ان رجال فرانكي يالي قد اقتحموا شقتها وقتلوا زوجها في حضنها قبل عدة أعوام.

بداية النهاية .. السجن والمرض

نتيجة جرائمه الكثيرة أطلقت عليه الصحافة اسم "عدو الشعب رقم واحد" ورغم انه لم يحاكم على أي جريمة قتل اقترفها ولم تثبت عليه أي واحدة منها الا ان محقق الضرائب اليوت نيس نجح في تقديم ال كابوني للمحاكمة بتهمة التهرب من الضرائب وحكم على ال كابوني عام ١٩٣١ بالسجن لمدة احد عشر عاما.

تم حبس ال كابوني في احد السجون الفيدرالية في ولاية أتلانتا، سرعان ما تمكن من رشوة سجانيه فحظي بمعاملة خاصة حيث كانت غرفته مؤثثة جيدا وكان يلتقي بعائلته يوميا واستمر في ادارة عصابته من داخل الزنزانة فقررت الحكومة إرساله الى أقسى السجون الأمريكية آنذاك وهو سجن الصخرة او الكاتراز، هناك لم يحظى ال كابوني بأي معاملة خاصة وطبقت عليه قوانين السجن الصارمة حاله حال بقية السجناء فانقطعت اتصالاته مع الخارج وأصبح مطيعا بعد ان تعلم بأنها الطريقة الوحيدة الناجحة للعيش في الكاتراز، لكنه تعرض الى استفزازات من سجناء آخرين وتشاجر مع بعضهم وأصيب في إحدى المرات بطعنات من

مقص حلاقة، وفي السجن أخذت تظهر عليه أعراض مرض السفلس الذي كان قد أصيب به في شبابه فأدخل المستشفى وأطلق سراحه عام ١٩٣٩. لقد اثر السجن والمرض على ال كابوني ففقد الكثير من وزنه واعتلت صحته ولم يعد قادرا على إدارة عصابته فقضى المدة الباقية من حياته بهدوء في المنزل حتى فارق الحياة عام ١٩٤٧ جراء تعرضه لسكتة قلبية.

ربما لم يكن ال كابوني أقوى زعماء المافيا ولكنه بلا شك أكثر من تم تسليط الضوء على حياته منهم، كان قاتلا ومجرما لكنه كان يساعد الفقراء وكان لطيفا مع ضيوفه ولكنه عصبي وعنيف عندما يغضب وربما تتلخص شخصيته في عبارته المشهورة : "يمكنك ان تمضي بعيدا بمجرد ابتسامة ولكن يمكنك ان تمضي ابعد بابتسامة ومسدس".

لغز الرعب الذى

قد يتكرر في اي لحظة

فيما كانت الجيوش المتحاربة تقاتل بشراسة في قلب أوربا أثناء الحرب العالمية الأولى، كان هناك عدو خفي وقاتل يتربص بالبشرية، عدو صغير الى درجة ان العين المجردة لا تتمكن من رؤيته ولكنه اشد ضراوة من جميع الأسلحة الحديثة التي اخترعها الإنسان، سيغزو أجساد ثلث سكان الأرض ويسبب من الوفيات خلال عدة شهور ما لم تحصده الحرب خلال أربعة أعوام، انه وباء الأنفلونزا عام ١٩١٨، الذي شحبت ذكراه ومات اغلب من عاصره فنسيه الناس وظنوا ان عصر الأوبئة قد انتهى الى الأبد، لكن ظهور سلالات جديدة من الفيروسات مثل أنفلونزا الطيور والخنازير أعاد الى الأذهان شبح ذلك الوباء المرعب وجعل الكثيرين يتساءلون حول إمكانية حدوثه مرة أخرى.

بعض القرى والمدن بلغت نسبة وفياتها ٩٠ % من عدد السكان .. اي ابادة جماعية

في خضم الحرب العالمية الأولى أريقت الكثير من الدماء واستخدمت أسلحة مدمرة جديدة لم يعرفها العالم من قبل كالدبابات والغواصات والطائرات والأسلحة الكيميائية، وبالنسبة للكثيرين في أوربا فأنهم لم يكونوا يتخيلون حدوث أمر أكثر سوءا من الحرب التي كانوا يحترقون في اتونها، لكنهم كانوا مخطئين، فما سيحدث بعد آذار / مارس ١٩١٨ سيكون

شيئا مختلفا عن كل ما رأوه سابقا وسيحصد من الأرواح البشرية أكثر مما فعلته الحرب بسنواتها الأربع المريرة، لكن هذا الموت الداهم لن يأتي من ساحات المعارك المشتعلة في قلب أوربا بل سيحلق طائرا عبر المحيط ليحل ضيفا ثقيلا على سكان القارة العجوز المنهكين من الحرب. لم يكن مرض الأنفلونزا شيئا جديدا فقد عرفه البشر منذ القدم، ذكره ابقراط الإغريقي ووصف أعراضه قبل ٢٥٠٠ عام وانتشر المرض عدة مرات كوباء كان أخرها هو وباء روسيا ١٨٨٩ الذي خلف أكثر من مليون ضحية حول العالم، لكن على العموم، لم يكن ينظر الى الأنفلونزا على انها مرض قاتل، خاصة بالنسبة للشباب الأقوياء والأصحاء، فضحايا المرض كانوا في الغالب من ذوي المناعة الضعيفة من الأطفال الصغار وكبار السن، لكن هذه النظرة المتفائلة نحو المرض ستتبدل بشكل كبير مع حلول صيف عام ١٩١٨ وحدوث الموجة الأولى لوباء أنفلونزا مميت سيعرف لاحقا بأسم الأنفلونزا الاسبانية (Spanish flu) رغم ان اسبانيا لم تكن هي بؤرة المرض، لكن لأنها كانت على الحياد في الحرب لذلك بقيت صحافتها حرة على عكس الدول المتحاربة التي وضعت قيودا صارمة على الصحافة خاصة فيما يتعلق بالخسائر وحجم الضحايا ونتيجة لذلك فأن أخبار المرض التي كانت تتناقلها الصحافة العالمية كانت تأتي في اغلبها من اسبانيا مما جعل الكثيرين يظنون بأن مصدر المرض هو اسبانيا.

كما في بقية أنواع الأوبئة فأنه يصعب تحديد البؤرة الأولى لانتشار المرض، فالباحثين يضعون عدة مناطق محتملة لحدوث الإصابة الأولى مثل الصين والولايات المتحدة والنمسا إلا إن المرض تفشى لأول مرة على

نطاق واسع في معسكر للجيش الأمريكي في ولاية كنساس وبعدها ظهرت إصابات جديدة في عدة ولايات أمريكية أخرى قبل ان ينتقل المرض عبر الأطلسي مع الجنود الأمريكيين المتوجهين الى جبهات القتال في أوربا ومن هناك انتشر بسرعة بفضل تطور وسائط النقل وحركة الجيوش المتحاربة ليحصد أرواح ضحاياه في جميع أنحاء المعمورة.

الوباء تفشى على شكل موجات، الموجة الأولى حدثت في آذار / مارس ١٩١٨ وكانت شدة المرض فيها معتدلة وتشبه في أعراضها الى حد كبير أعراض الأنفلونزا الموسمية العادية فكان ضحاياها في الغالب هم من الأطفال وكبار السن فيما استرد الشباب والرجال الأصحاء عافيتهم وشفوا من المرض بسرعة لكن مع حلول شهر آب / أغسطس ١٩١٨ حدثت الموجة الثانية التي تغيير المرض خلالها بطريقة دراماتيكية، لقد كان نفس الفيروس بدليل أن المرضى الذين سبق ان أصابوا به في الشهور السابقة تكونت لديهم مناعة ضده، الا انه تحول الى مرض مميت وشديد الفتك بضحاياه، وأصبح الشباب والرجال الأصحاء هم الأكثر عرضة للإصابة بالمرض والموت بسببه على عكس الأنفلونزا العادية التي تصيب عادة ذوي المناعة الضعيفة، كما ان أعراض المرض ومضاعفاته تغيرت بشكل ملفت للنظر، فقد كتب احد من عاصروا تلك الفترة قائلا : "إحدى مضاعفات المرض الغريبة هي النزيف من الأغشية المخاطية للجسم، على الخصوص من الأنف والمعدة والأمعاء، كذلك حدوث نزف من الإذن"، النسبة الأكبر من الوفيات كانت تحدث بسبب حدوث مضاعفات تؤدي الى إصابة المريض بذات الرئة فتمتلئ رئته بالسوائل والدم وتصبح عملية التنفس صعبة

ويموت المريض اختناقا، كان المرض فتاكا الى درجة ان بعض المرضى كانوا يموتون في نفس اليوم الذي تظهر عليهم أعراضه، وقد شاعت الكثير من القصص حول أناس ظهرت عليهم أعراض المرض في الصباح فماتوا ودفنوا في المساء او آخرين سقطوا أرضا فجأة أثناء توجههم للعمل وماتوا بعد عدة ساعات، إحدى القصص الشائعة آنذاك كانت عن أربع نسوة شوهدن قبل منتصف الليل وهن يضحكن ويلعبن الورق لكن عند بزوغ الفجر ثلاثة منهن كن قد فارقن الحياة بسبب المرض، ساهمت هذه القصص عن طبيعة المرض الفتاكة في إشاعة جو من الرعب فأصبح الناس يبتعدون عن الأماكن المزدحمة وأخذت بعض المتاجر تمنع زبائنها من الدخول اليها وتطلب منهم كتابة ورقة بطلباتهم وتركها أمام باب المتجر، تعطلت المدارس وأغلقت بعض المصانع والأسواق أبوابها واكتظت المستشفيات بالمرضى فيما انخفضت أعداد الأطباء والممرضات للعناية بهم، لقد كانت هناك عوائل كاملة فارقت الحياة او مات عدد كبير من أفرادها وتيتم الكثير من الأطفال وأصبحت جنازة الميت لا تستغرق في أحسن الأحوال سوى ربع ساعة ولا يحضرها سوى بعض ذوو المتوفى وهناك الكثير من الموتى كانوا يبقون بدون دفن لأن رجال الدين وحفارو القبور كانوا مرضى او موتى، اما في جبهات القتال فأن ضحايا المرض من الجنود كانوا يموتون بالجملة ويدفنون في مقابر جماعية، كان الوباء قاتلا ومدمرا الى درجة ان بعض المؤرخين يعتقدون ان المرض اثر في مسار ونتيجة الحرب، فحسب هؤلاء، فأن الأضرار التي لحقت بالألمان والنمساويين نتيجة المرض كانت اكبر من تلك التي أصابت الحلفاء، وان الكثيرين من الجنود الذين اعتبروا

قتلى نتيجة المعارك لم يكونوا ضحايا الأسلحة الحربية ولكن قضوا بسبب المرض.

حسب الإحصاءات فأن ثلث سكان الأرض أصيبوا بالمرض أي حوالي ٥٠٠ مليون إنسان (حسب تقديرات عام ١٩١٨) وان ١٠ – ٢٥ % من هؤلاء المصابين فارقوا الحياة أي بين ٥٠ – ١٠٠ مليون إنسان وهو ما يعادل ٣ – ٦ % من سكان الأرض آنذاك، نسبة المتوفين نتيجة المرض قياسا الى عدد المصابين به هي ٢ – ٢٠ % في حين ان هذه النسبة تبلغ ٠,١ % في الأنفلونزا العادية، النسبة الأكبر من الوفيات حدثت في الأعمار بين ١٥ – ٦٥ عاما بينما تكون نسبة الوفيات عالية نتيجة الأنفلونزا الموسمية العادية بين الأطفال وكبار السن لضعف مناعتهم، الوباء انتشر في كل العالم وخلف ضحايا في جميع البلدان، حتى الجزر النائية في المحيط الهادئ لم تسلم من ويلاته، في الولايات المتحدة بلغ عدد المصابين ٢٨ % من مجموع السكان وعدد الموتى ٦٧٥٠٠٠، في الهند وصل عدد الموتى الى ١٧ مليون إنسان، في بريطانيا ٢٥٠٠٠٠ وفي فرنسا ٤٠٠٠٠٠، في استراليا ١٢٠٠٠ وفي اليابان ٣٩٠٠٠٠، هناك قرى في ألاسكا ونيوزلندا ومناطق أخرى من العالم بلغ عدد الموتى فيها ٨٠ – ٩٠ % من عدد السكان، ويرجع الكثيرون هذا التفشي المروع للوباء الى عودة الجنود الى أوطانهم من جبهات القتال في أوربا حاملين معهم الفيروس إضافة الى عدم تطبيق الإجراءات الطبية الصحيحة لمواجهة الوباء وأهمها الحجر الصحي للمسافرين المشكوك في إصابتهم بالمرض.

مع بداية عام ١٩١٩ بدء الوباء ينحسر ويختفي على نحو سريع، البعض عزا ذلك الى تزايد الخبرة الطبية للتعامل مع المرض واتخاذ إجراءات احترازية في معظم الدول ضد انتشاره، فيما يرى البعض الأخر بأن السبب الحقيقي وراء نهاية الوباء يكمن في فيروس الأنفلونزا نفسه حيث انه يفقد قوته وصفاته المميتة بالتدريج خلال انتقاله عبر عدة أجسام مضيفة (مرضى).

و رغم الخسائر الثقيلة التي ألحقها بالبشرية الا ان الناس سرعان ما نسوا الوباء وربما كان لنهاية الحرب وبدء زمن سلم جديد دور كبير في ذلك، فجأة ضاعت ذكرى المرض بعد ان كانت أخباره تطغي على كل شيء حتى ان بعض الباحثين أطلقوا عليه اسم "الوباء المنسي"، لكن مع عودة ظهور فيروس أنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير في تسعينيات القرن المنصرم عاد شبح وباء عام ١٩١٨ ليخيم على البشرية مرة أخرى وأخذت الجرائد والمواقع الالكترونية تكتب عنه وبدء الناس يعوون مدى خطورة فيروسات الأنفلونزا وحجم الموت والدمار الذي يمكن ان تنشره في حال تفشت كوباء، كما ان المختبرات ومراكز الأبحاث الطبية حول العالم بدئت في دراسة وباء عام ١٩١٨ لمحاولة معرفة نوع الفيروس الذي تسبب بالمرض وكيف نشأ وكيفية انتقاله الى جسم الإنسان وأشكال العدوى واثر الفيروس على الجسم ، وبالفعل تمكن العلماء من إعادة تخليق الفيروس عن طريق عينات حصلوا عليها من جثة امرأة من الاسكيمو قضت في وباء ١٩١٨ ودفنت في ثلوج ألاسكا، وقد قام الأطباء عام ٢٠٠٧ بتعريض بعض قردة التجارب للفيروس في احد المختبرات الكندية، نتيجة الاختبار

كانت مخيفة وبشعة، لقد بدئت أعراض المرض بالظهور خلال ٢٤ ساعة من تعريض القردة للفيروس وسرعان ما فارقت الحياة بعد عدة أيام، لقد كان التدمير الذي حدث لأنسجة الرئة كبيرا الى درجة ان القرود اختنقت وماتت نتيجة غرق رئتها بالدماء، وهي نفس الأسباب التي ذكرها المؤرخون عن أعراض ومضاعفات مرض الأنفلونزا عام ١٩١٨، كما ان التجربة فسرت للأطباء السبب في ان اغلب ضحايا المرض هم من أصحاب المناعة القوية وهو لغز كان يحيرهم لعقود، لقد أظهرت التجربة بأن الدمار الذي كان يلحق بأنسجة الجسم لم يكن سببه الحقيقي هو فيروس المرض بل هو نتيجة لحالة من الخلل تحدث في إفراز البروتينات المنظمة لعمل جهاز المناعة وذلك يؤدي الى تحفيزه بشكل مفرط بحيث يكون رد فعله سببا في تدمير خلايا وأنسجة الجسم ولهذا السبب كلما كان جهاز المناعة أقوى كلما كان تأثير المرض والفيروس أقوى وأكثر تدميرا.

ويعكف الأطباء حاليا لدراسة كيفية ابتكار طرق جديدة لعلاج فيروسات الأنفلونزا الخطرة في حال تفشيها كوباء مرة اخرى، ورغم الغاية السامية لهذه الاختبارات العلمية الا ان هناك بعض المعترضين عليها بسبب الخوف من ان يؤدي تسرب بعض الفيروسات التي تم إعادة إحياءها الى وباء وكارثة عالمية جديدة.

ملحق حول فيروسات الأنفلونزا

كثر الحديث في الآونة الأخيرة حول فيروسات الأنفلونزا لذلك ارتأينا ان نختم هذه المقالة بشرح مبسط لهذه الفيروسات وأنواعها تساعد القارئ

الكريم في استيعاب بعض المصطلحات الطبية التي يكثر تداولها في الصحف والفضائيات، هناك ثلاثة أنواع من فيروسات الأنفلونزا :

– فيروس الأنفلونزا نوع (A) : اخطر فيروسات المرض وأكثرها فتكا بجسم الإنسان، تعتبر الطيور البرية هي المضيف الطبيعي لأكثر أنواع هذه الفيروسات وتنتقل منها عادة الى الحيوانات كالطيور المدجنة والخنازير ومنها الى البشر وتسبب في حدوث الأوبئة المميتة، سلالات هذا الفيروس تختلف في خطورتها داخل النمط الواحد، فمثلا فيروس عام ١٩١٨ كان مميتا وهو من نوع (H١N١) في حين ان سلالة او فصيلة أخرى من نفس الفيروس تسببت في حدوث وباء أنفلونزا الخنازير ٢٠٠٩ تبدو اقل خطورة بكثير.

– فيروس الأنفلونزا نوع (B) : هذا النوع لا يحتوي سوى على فصيلة واحدة ولا يصيب سوى البشر وهو اقل خطورة وانتشارا من النوع (A) ولا يتحول الى وباء.

– فيروس الأنفلونزا نوع (C) : فصيلة واحدة وهو اقل انتشارا من النوعين السابقين وهو عادة يصيب الأطفال وتكون خطورته قليلة.

فهرس